

روايات
مصرية
للحديث

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

العميل الهارب

RASHID

WWW.DVD4ARAB.COM

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ١٩٨٠ م

١ - عميل المخابرات ..

أظلمت صالة عرض سينائي خاصة ، وسقط الضوء من آلة العرض ، فوق شاشة بيضاء ، ليلقى مجموعة من الصور الثابتة المتتالية ، كان القاسم المشترك بينها هو ذلك الرجل المتوسط القامة ، القوى البنيان ، القصير الشعر ، الذي يرتدى منظاراً طيئاً ، والذي يبدو في لقطات مختلفة ، وبصحبة أشخاص مختلفين ..
وغمغم أحد الجالسين في صالة العرض الخاصة :

— إنه (إيلي إيزاك) ، ولكنه يبدو

قاطعه صوت خشن حاد :

— هذا هو الاسم الذي كنا نعرفه به ، أما اسمه الحقيقي فهو (فريد عبد الكريم) ، عميل للمخابرات المصرية ، ويحمل الاسم الحركي (الصقر) .

انطلقت شهقة قوية وسط الظلام ، وهتف صوت مذهول :

— مستحيل !!

تجاهل صاحب الصوت الخشن الحاد ذلك التعليق

الانفعالي ، وهو يستطرد :

— أمّا الذين يصاحبونه ، فهم بعض مسئولى المخابرات العامة المصرية ، الذين حصلوا بواسطته ، طوال خمسة أعوام كاملة ، على أدق أسرار ومعلومات نشاطنا السرى .

وأضيت أنوار الصالة ، التى يتوسطها رجل قصير القامة ، ذو شعر أشيب كث ، ووجه مكتر ، محمر من شدة الغضب ، ضغط حروف كلماته ، وهو يستطرد فى جدّة :

— أوافقكم أن هذا مذهب ، وغير معقول ، ولكنه حدث .. حدث ؛ لأن جهاز المخابرات الأسترلانى ، الذى يفاخر دومًا بكفاءته ، ودقته المتناهية ، لم يُجرِ التحريات الكافية ، حول المهاجر التركى الأصل (إيلى إيزاك) ، الذى قدم إلى (أسترتان) منذ عشر سنوات ، ونجح فى أن يصبح أحد رجال جهاز المخابرات الأسترلانية ، خلال خمسة أعوام فقط ، والأدهى أنه كان يشغل عدة مناصب شديدة الحساسية داخل الجهاز ، مكنته من نقل أسرارنا ، بصفة منتظمة ، إلى (القاهرة) ، ولولا ارتياحى فى وجود خائن وسط صفوفنا ، إثر فشلنا المستمر فى كل عملياتنا السرية ، داخل الشرق الأوسط ، خلال الأعوام الأخيرة ، ما استطعت أبدًا كشف حقيقة الدور الذى يلعبه ..

لقد جندت مجموعة خاصة ، غير معروفة من رجالنا ، يتبعون ، لى مباشرة ، بمراجعة ملفات وأنشطة كل من التحق بالجهاز ، طوال السنوات السبع الماضية ، ولقد أثار انتباههم كثرة سفر (إيلى إيزاك) إلى موطنه الأصل فى (تركيا) ، فى كل عطلاته وإجازاته ، ولقد نجحوا فى تتبعه ، ورصد مقابلاته مع رجال المخابرات المصرية هناك ، والحصول على أدلة تؤكّد منحه إياهم كل أسرارنا ، بصفة منتظمة ..

تهالك أحد الرجال الستة ، الحاضرين فى القاعة ، على مقعده ، وأخذ يخفف العرق الغزير ، الذى سال على وجهه ، من شدة الانفعال ، على حين ظلّ صاحب الصوت يردف فى حنق ، وهو يدير عينيه فى وجوه الرجال الستة فى ازدراء :

— شىء مخجل !! مخجل حقًا !! لقد تمكّن رجل واحد من خداعكم ، طوال خمس سنوات كاملة .. إننى أتخيّل نظرات السُخرية فى عيون رجال المخابرات المصرية ، حينما يتلقّون أدق المعلومات عن نشاط مخابراتنا السرى ، وهم يجلسون خلف مكاتبهم فى (القاهرة) .

حاول أحد الحاضرين أن يبدو متماسكًا ، وهو يقول :

— إننا نعتز بتقصيرنا يا عزيزي (ديفي) ، ولكنني أسلم
ببراعة الرجل ، فقد بدا لنا دومًا مثلاً لرجل الخبرات ، الذي
يحوز كل الثقة ، ولكنك أيضاً مقصر ، فقد كان ينبغي أن تعلن
لنا كشفك الخطير هذا أمس ، قبل أن يسافر هو إلى (تركيا) .
نفث (ديفي) دخان سيجارته في عصية ، وألقى جسده
فوق أحد المقاعد ، وهو يقول :

— كنت أحتاج إلى مزيد من المعلومات والأدلة ، حول
الدور الذي يلعبه ذلك الرجل ، والتأكد من وجود شريك له
أولاً ، وكان من المحتّم أن تسير الأمور بالنسبة له في مجراها
الطبيعي ، حتى لا يشعر بما أفعل ، وصباح اليوم فقط وضعت
يدي على الحقائق كاملة .

انتفض الشخص ، الذي تهالك على مقعده منذ لحظات ،
وهتف في انفعال :

— سأرسل اثنين من رجالى إلى تركيا ؛ لقتله .. سأعيده إلى
(القاهرة) في تابوت .

تطلع إليه (ديفي) في استخفاف ، وقال :

— إنك تثبت لى أن هذا الرجل لم يخدعكم من فراغ
يا (رادين) .. إن بعضكم يتميز بغباء منقطع النظر .

احتقن وجه (رادين) ، وهمّ بأن ينطق شيئاً ما ، إلا أنه لم
يلبث أن ابتلع كلماته ، مع استطراد (ديفي) :

— الإجراء الأفضل ، والأكثر ذكاء ، هو أن تستدعيه إلى
هنا لأمر عاجل ، على نحو لا يجعله يرتاب في أمر الاستدعاء ..
وما أن تطأ قدماه أرض (أستران) ، حتى يتم اعتقاله على
الفور ، فوجوده بين أيدينا سيحقق أهدافنا ، ويعرض بعض
خسائرننا ؛ إذ ينبغي أن نعلم منه أولاً ماذا نقل إلى المصريين من
معلوماتنا ، ونستخدم معه كل وسائل التعذيب الممكنة ؛
لنتزاع ما لديه من أسرار المصريين ثانية .

انبرى أحد الحاضرين ، قائلاً :

— وماذا لو جعلنا منه عميلاً مزدوجاً ، ينقل إليهم ما نشاء
فقط ، وعلى نحو يضمن لنا خداعهم ؟

أطفاً (ديفي) سيجارته ، وهو ينهض قائلاً في حدة :

— كلاً .. إن شخصاً مثل (فريد عبد الكريم) لا يصلح
للقيام بهذا الدور ، فمن المستحيل ترويض شخص خدع وطنه
لسنوات ، في عرين الأسد ، على خيانة ما يؤمن به ، كما أنه من
المستحيل أن نخدعه بمعلومات زائفة ؛ إذ أن طول عمله بينكم
سيجعله قادراً — ولا شك — على التمييز ما بين المعلومات

الحقيقية والزائفة ، ولو تنبّه إلى محاولتنا لخداعه ، فسنفقد الصيد ، والعملية كلها .

ثم اتجه نحو (رادين) ، الذى لم يكن قد تخلص من انفعاله بعد ، وقال فى لهجة آمرة :

— نفذ ما أمرتك به .. أعده إلى هنا على وجه السرعة ، وانتزع منه كل ما لديه ، بأية وسيلة ممكنة .

واتجه نحو باب الخروج ، وهو يستطرد ، دون أن يلتفت إليهم :

— وبعدها سنعيده لهم فى تابوت ..

أسرع (رادين) يستوقفه ، وهو يجفف عرقه الغزير ، قائلاً :

— وماذا لو تنبّه إلى ما ندبره له ، ورفض العودة إلى (أسترتان) ؟

أشعل (ديفى) سيجارة أخرى فى بطاء ، كما لو كان يمنح نفسه وقتاً للتفكير ، ثم نفث دُخانها ، قائلاً :

— عندئذ فقط اقتله فى (اسطنبول) ، ولكن حذار ، فسيكون عليك أن تقدّم لى أدلة كافية ، على أن هذا كان آخر ما لديك .. فالمعلومات التى يملكها هذا الرجل بالغة الأهمية

والخطورة ، بالنسبة لأمتنا القومى .. وأكرر .. ابذل كل ما فى طاقتك ؛ لاستعادته أولاً ، وتذكّر أنت والآخرين أنكم ستعانون مساءلةً عنيفة ، بسبب ما فعله ذلك الرجل ، وعبرته إلى (أسترتان) وخدّها قد تغفر لكم .

وغادر صالة العرض فى خطوات سريعة ، وأغلق بابها خلفه فى عُنْف ، وترك نهراً من العرق على وجوه الجميع ، وقد أدركوا أن أملهم الوحيد فى النجاة هو اقتناص الرجل ..
اقتناص (فريد عبد الكريم) ...



٢ - العميل الهارب ..

انعطفت سيارة زرقاء عينا ، لتوقّف في نهاية شارع (أتاتورك) ، في العاصمة (إسطنبول) ، وهبط منها رجل متين البنيان ، قصير الشعر ، ثبتت نظاره الطبي فوق أنفه في عناية ، وتلفت حوله في حذر ، قبل أن يتقدّم نحو الساحة ، التي تتوسطها مجموعة من التماثيل البرونزية ، مختلفة الأشكال والأحجام ، في نفس الوقت ، الذي برز فيه من شارع جانبي شخص طويل القامة ، يرتدى حلة ذات لون أزرق داكن ، ويبدو في الأربعينات من عمره ، واتجه بدوره نحو الساحة ، وتوقّف الاثنان أمام أحد التماثيل البرونزية ، يتأملانه في عناية ، قبل أن يغمغم أحدهما في هدوء :

— مرحباً بك في (إسطنبول) أيها الصقر .

غمغم الآخر في هدوء ، دون أن يلتفت إلى محدّثه :

— مرحباً بك يا سيّدي .

دار الأوّل حول قاعدة التمثال ، واقترب من الثاني مغممماً :

— هل من جديد ؟

أجابه الثاني :

— نعم .. لدى تقرير حول نشاط عملاء (أسترتان) في المغرب ، وهناك قائمة تضم أسماءهم ، ونشاطهم ، في الصندوق السريّ كالمعتاد .

انفرجت أسارير الرجل ، ذى الحلة الزرقاء ، وهو يغمغم :
— عظيم .. إنك تقوم بعمل رائع يا (فريد) ، ومن المؤسف أن الأوامر تقتضي إعادتك إلى (مصر) ، بعد ستة أشهر فقط ، فسوف يحرمنا ذلك أحد عيّن لنا ، في قلب المخابرات الأسترطانية .

فريد :

— لماذا اقتضت الأوامر ذلك ؟ .. هل ارتكبت خطأ ما ؟ .

هزّ الآخر رأسه نفياً ، وقال :

— على العكس .. لقد أدّيت عملك في منتهى الدقة والعناية ، طوال عشر سنوات كاملة ، ولكن الكمال لله وحده ، ولا يمكن الاستمرار في هذا الوضع إلى الأبد ، والحكمة تقتضي سحب الورقة الناجحة في الوقت المناسب ، قبل أن تحترق ، وعليك أن تعدّ نفسك للعودة ، بعد ستة أشهر .

التقت نظراتهما للمرة الأولى ، حينما استطرد الرجل :
— وسنلتقى مرة أخرى مساء غد ، عند جامع السلطان
(أحمد) ؛ لتلقى التعليمات الجديدة .

فريد :

— ولكنني سأسافر في التاسعة من صباح غد إلى
(أسترتان) .

تطلع إليه رفيقه في دهشة ، مغمغماً :

— بهذه السرعة ؟!

فريد :

— لقد أرسلوا إليّ استدعاءً عاجلاً ؛ لأعود إلى
(أسترتان) ، قبل الواحدة من ظهر غد .

ارتسمت أمارات القلق على وجه رفيقه ، وهو يقول :

— عجباً !!! إنها أول مرة يلاحقونك فيها باستدعاء
عاجل ، على هذا النحو .

ابتسم (فريد) ، قائلاً :

— أنت تعلم أنني من الصفوة لديهم ، وربما يحتاجون إليّ
لأمر عاجل وهام .

صمت زميله برهة ، قبل أن يقول :

— كنْ على حذر ، فلقد لاحظ رجالنا بعض الوجوه
المألوفة ، في الأماكن التي تتردد عليها في (إسطنبول) .. ولكن
اذهب الآن ، وسأصل بك بأية وسيلة ، قبل سفرك .

وما أن بَارَحَ (فريد) المكان ، حتى أخرج ذو الحُلَّة
الزرقاء من جيبه قلماً فضياً ، نزع غلافه ؛ ليكشف عن جهاز
إرسال صغير ، أدناه من فمه ، وهو يقول في صوت خافت :

— من (م — ٣) إلى (ص — ٨) .. أما زال الرجل ، الذي
أشرت إليه ، يقتفى خطوات الصقر ؟

جاءه الجواب :

— نعم .. لقد استقلَّ سيارة صفراء ، ويستعد للانطلاق
بها خلف سيارة الصقر .

صمت الرجل برهة ، ثم قال في حزم :

— حسناً اقتنصوا ذلك الرجل .. وأريد معرفة نتائج
استجوابه بأقصى سرعة ممكنة .

وأنهى الاتصال ، وهو يغمغم في قلق :

— يبدو أن الورقة الراجعة قد احترقت بالفعل .

توقفت السيارة الصفراء أمام فندق (كريستال) ، حيث



وتوقفت الكلمات في حلقة فجأة ، وعلا الاصفرار وجهه ، حينما وقع
بصره على فوهة المسدس ، التي تطل من باقة الزهور ..

ترك (فريد) سيارته ، وأسرع يرتقى درجات السلم القصير ،
المفضى إلى بهو الفندق ، وترك صاحبها مقعده ، وسار خلف
فريد ، وقبل أن يصل إلى السلم القصير ، اعترضه رجل يحمل
سلة كبيرة ، تمتلئ بمختلف أنواع الزهور ، وقال وهو يمد له يده
بباقة منها :

— اشتر هذه منى أيها السيد الكريم ، ولن تندم أبداً .

دفعه الرجل في عصية ، قائلاً :

— ابتعد بزهورك اللعينة .

ولكن بائع الزهور تشبث به في إلحاح ، قائلاً :

— ستسعد صديقك للغاية بزهورى ، وسأمنحك تخفيضاً

خاصاً في ثمنها .

دفعه الرجل في حدة ، وهو يلوح بقبضته ، ويزجر في

غضب :

— قلت لك ابتعد ، قبل أن أمزقك إرباً إرباً و

وتوقفت الكلمات في حلقة فجأة ، وعلا الاصفرار وجهه ،

حينما وقع بصره على فوهة المسدس ، التي تطل من باقة الزهور ،

وسمع البائع يقول في صرامة :

— ستعود معى الآن إلى سيارتك في هدوء ، وإلا زينت هذه

الزهور قبرك .

امتقع وجه الرجل ، وانصاع للأمر في استسلام ، واتجه إلى
سيارته ، حيث استقبله رجالان ، جلس أحدهما إلى جواره في
المقاعد الأمامية ، وجلس الآخر في المقعد الخلفي ، وقال بائع
الزهور الزائف في برود :

— والآن ما رأيك في نزهة قصيرة وسط الحقول الخضراء ،
لعلها تفتح شهيتك للحديث حول سبب تعقبك وزملائك لنزير
فندق (كريستال) .. وحذارٍ من الكذب ، فهو يصيبني
بعسر هضم ، يجعل أصابعي تنقبض على زناد مسدسي .

ازداد شحوب الرجل ، وانطلقت السيارة مبتعدة عن
الفندق ..

في الوقت الذي كان فيه (فريد عبد الكريم) يتجه إلى مطار
(إسطنبول) ، في طريق العودة إلى (أسترتان) ، كان هناك
عدد من الأشخاص يحومون حول المطار ، في انتظار إقلاع
الطائرة به ؛ لِيُطْمَئِنُوا أولئك الرجال ، الذين يسبحون في بحر من
القلق ، خلف مكاتبهم في اغخبارات الأسترتانية ..

ولم يكذ (فريد) يصل إلى المطار ، حتى اعترضه أحد
الحمالين ، قائلاً في لهفة :

— هل أحمل حقائبك يا سيدي ؟

ابتسم (فريد) قائلاً في هدوء :

— إنها حقيبة واحدة فحسب ..

همس الحمال في هدوء ، وهو ينحني ليحمل الحقيبة :

— لا بأس .. دُغْنِي أحملها أيها الصقر ، حتى يبدو الأمر

طبيعياً على الأقل .

ترك له (فريد) الحقيبة ، وهو يجاهد ليخفي دهشته ، وهو

يسأله :

— ماذا هناك ؟

أجابه الرجل في هدوء :

— لقد كشفوا حقيقتك . وهم ينتظرون وصولك إلى

(أسترتان) ؛ ليقتلوك على الفور .

شعر (فريد) بالاضطراب ، ولكنه تماسك ، وهو

يغمغم :

— وما العمل ؟.. لا ريب أن بعضهم يراقبني الآن ؛

ليتأكد من رحيلي .

أجابه الرجل ، وهو يضع الحقيبة فوق حامل معدني خاص

بالمطار :

— لقد أرسلنى (م — ٣) ؛ لمعاونتك على الإفلات منهم .. ولو نظرت أمامك ، فستجد فتاة تقترب منك ، وستصطدم بك ، وتسقط محتويات حقيبتها أرضاً ، وكل ما عليك هو أن تتظاهر بالانحناء لمعاونتها ، فى نفس اللحظة التى تتوقف فيها واحدة من سيارات الأجرة ، على بعد خطوتين منك ، سيفتح سائقها الباب المجاور له ، وكل ما عليك هو أن تقفز داخلها ، واترك لنا مهمة إعاقة من يتعقبونك ، حتى تبعد بك السيارة ، وسنعيد إليك حقيبتك لاحقاً .

فريد :

— ولكن

قاطع الرجل :

— فيما بعد .. الفتاة قادمة .

ولم يكذب يتم عبارته ، حتى اصطدمت الفتاة بـ (فريد) ، وتبعثرت محتويات حقيبتها أرضاً ، وهتفت فى لهجة جزع : — معذرة .. لقد تأخرت عن الطائرة و

قاطعها (فريد) فى هدوء :

— لا بأس .. سأعاونك على جمع محتويات الحقيبة . وعلى بعد خطوات ، غمغم أحد مراقبيه فى توتر :

— إنها تبدو تمثيلية سخيفة .. أراهن أنه قد شعر بالخطر ، وأظن أنه يدبر للفرار .

أشار زميله إلى سيارة الأجرة ، التى توقفت فجأة ، وهتف : — إنه كذلك بالفعل .. أسرع .

ولكن (فريد) قفز فجأة داخل السيارة ، التى اندفعت فى سرعة ، فأخرج الرجل مسدسه ، وهم بإطلاق النار عليها ، ولكن زميله صاح به :

— هل جئت ؟ .. إنك ستحوّلها إلى حرب علية .

هتف الرجل فى انفعال :

— هل ستركه يفر أمام أعيننا ؟

قال زميله فى حنق :

— سندحق بالسيارة .. اتصل بالوحدة الرابعة لاسلكياً ، واطلب منهم اعتراضها فى شارع (القسطنطينية) .

أسرع الاثنان إلى سيارتهما ، فى نفس اللحظة التى قال فيها أحد رجال المخابرات المصرية فى حزم :

— الآن ..

وبدأت خطة الإعاقة ..

٣- قفص الصَّقر ..

استيقظ المقدم (ممدوح عبد الوهاب) في ساعة متأخرة من الليل ، إثر رنين هاتفه المتواصل ، والتقط سماعة الهاتف في حنق ، فقد كان يُعطّ في نوم عميق ، بعد يوم شاق في العمل ، وتدريب الضباط الجدد ، وغمغم في صوت يجمع ما بين الضيق والتعب :

— من المتحدث ؟

استيقظت حواسه كلها ، حينما سمع صوت اللواء (مراد) ، عبر أسلاك الهاتف ، يقول :

— (ممدوح) .. ارتد ثيابك ، واحضر إلى الإدارة فوراً .
تطلّع (ممدوح) إلى ساعته في دهشة ، وتساءل عن سر ذلك الاستدعاء المفاجئ ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يحيب في حماس :

— سأحضر فوراً يا سيدي .

وحينما وصل إلى الإدارة ، كان الظلام يغلفها تماماً ، غدا حجرة مدير العمليات الخاصة ، الذي كان يجلس في مكتبه ، منهمكاً في الحديث مع شخص آخر ، هب لمصافحة (ممدوح) ، قائلاً :

— يؤسفني أن انتزعناك من فراشك ، في هذا الوقت المتأخر ، أيها المقدم .

ابتسم (ممدوح) ، وامتلاً صوته بالحيوية والنشاط ، وهو يقول :

— إنني مستعد دائماً في أية لحظة من الليل أو النهار يا سيدي .
وضع اللواء (مراد) يده على كتف (ممدوح) ، في امتنان وعطف أبوي ، وقدم إليه الشخص الآخر ، قائلاً :

— العميد (سامي) .. من إدارة المخابرات العامة .

صافحه (ممدوح) ، قائلاً في احترام :

— مرحباً بك يا سيادة العميد .
شدّ العميد (سامي) على يده ، قائلاً :

— يسعدني أن ألقاك أيها المقدم .. لقد بلغتني أخبار بطولاتك .

ممدوح :

— شكراً يا سيدي .. ولكنني أعتقد أنه من المبالغة إطلاق اسم البطولات على واجبي .

جلس اللواء (مراد) خلف مكتبه ، وهو يبتسم قائلاً :

— أنت الذي يبالغ في التواضع يا (ممدوح) .. المهم أن تستمع الآن إلى العميد (سامي) .

اعتدل العميد (سامي) ، وهو يقول في اهتمام :

— الأمر يتعلق بواحد من أهم عملائنا ، يدعى (فريد عبد الكريم) وشهرته (الصقر) .

وقصَّ عليه أمر دخول (فريد) إلى (أستران) ، بصفته مهاجراً تركياً ، يحمل اسم (إيلي إيزاك) ، وانضمامه إلى المخابرات الأسترانية ، حتى وصل بالقصة إلى لحظة فرار (فريد) من مطار (إسطنبول) ، واستطرد في انفعال :

— ولقد ساعدنا بعض الأتراك ، الذين يعملون لحسابنا ، على إخفائه في مكان مجهول ، في (إسطنبول) ، وهو ما زال يختبئ هناك .

أضاف اللواء (مراد) :

— المشكلة الآن هي كيف نعيد (فريد) إلى (مصر) سالمًا .. فعيون المخابرات (الأسترانية) تنتشر الآن في كل مكان في (إسطنبول) ، ولديهم العديد من العملاء الأتراك أيضاً ، بل إن بعض عملائهم يمثلون مناصب هامة وحساسة في أجهزة الأمن التركية ، وهذا يعني أن أية محاولة لإخراجه من هناك بالوسائل العادية ، أو عبر حدود أية دولة عربية متاخمة لـ (تركيا) ، سيكون محفوفاً بالعديد من المخاطر ، مادامت قبضتهم تمتد إلى كل مكان .

قال (ممدوح) في هدوء ، وقد أدرك بذكائه طبيعة مهمته :

— المطلوب إذن هو شخص يمكنه إخراجه من المصيدة ، على الرغم من كل ما يحيط بها من مخاطر وعقبات ، وأنا هذا الشخص .. أليس كذلك ؟

العميد (سامي) :

— بلى .. لقد جرى استعراض لكل العاملين في أجهزة الأمن في (مصر) ، ووقع الاختيار عليك ، وينبغي أن تعلم أن هذه المهمة تطوعية ، وليست إجبارية ، فالخطأ — أي خطأ — سيعنى التضحية برجل قَدَم عمره لخدمة وطنه ، وضياع جهد سنوات طوال .

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— يمكنك اعتباري متطوعاً يا سيادة العميد ، ففضلاً عن واجبي الوطني ، الذي يجعلني أتشرف بقبول المهمة ، فأنا أهوى مثل هذه العمليات ، التي ألتقي فيها بخصومي من رجال المخابرات الأسترانية ، الذين أحمل لهم ذكريات قديمة عديدة .

أطلق اللواء (مراد) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

— ألم أقل لك إنه سيرحب بالمهمة على الفور ؟

نهض العميد (سامي) يصافح (ممدوح) ، قائلاً :

— حسنًا .. سأترك الأمر الآن للواء (مراد) .. فمنذ هذه اللحظة أصبحت العملية تخص المكتب رقم (١٩) .

شدّ (ممدوح) على يده ، وهو يقول في ثقة وحماس :
— ثق يا سيدي أن الصقر سيعود ليرفرف بجناحيه ، خارج القفص الذي يحيطونه به .

ابتسم العميد (سامي) ، قائلاً :

— المهم أن يعود إلى عُشّه .

وفي هدوء غادر الحجرة ، في حين اعتدل اللواء (مراد) ، وهو يقول في اهتمام :

— والآن استمع إليّ يا (ممدوح) .

جلس (ممدوح) أمامه في هدوء ، وارتسمت على شفّتيه ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

— كلّي آذان صاغية يا سيدي .

تطلّع (ممدوح) في هدوء إلى السماء الصافية ، عبّر نافذة الطائرة المجاورة له ، وهو في طريقه إلى (إسطنبول) ، وهو يحاول ترتيب أفكاره ، واسترجاع تفاصيل المهمة المقبلة ، ولكن الراكب المجاور له قطع حبل أفكاره ، وهو يقول :

— عفواً .. هل الأخ مصرى ؟

انتبه (ممدوح) إلى الرجل للمرة الأولى ، فالتفت يتطلّع إليه بعقالة العربى ، ومنظاره الأسود ، ولحيته القصيرة ، وابتسم ابتسامة مجاملة ، وهو يجيب :

— هذا صحيح .. كيف عرفت ؟

ضحك الرجل ، قائلاً :

— ملاحظك تشي بذلك .. أقدم لك نفسى ، (عبد الله الزيان) .. من السعودية .

غمغم (ممدوح) في اقتضاب :

— تشرّفنا .. أنا (ممدوح عبد الوهاب) .. صحفى .
وتحوّل بوجهه إلى النافذة ، وكأنما يعلن عدم استعدادده لمواصلة الحديث ، إلا أن جاره بدا غير مكثف بهذا التعارف المختصر ، فعاد يسأله :

— ولماذا تسافر إلى (إسطنبول) ؟ .. عمل أم نزهة ؟

غمغم (ممدوح) في اقتضاب :

— نزهة .

عبد الله :

— أنا أيضاً أسافر لنفس الغرض .. فـ (إسطنبول)



انتبه (ممدوح) إلى الرجل للمرة الأولى ، فالتفت يتطلع إليه بعقاله
العربي ، ومنظاره الأسود ، ولحيته القصيرة ..

مدينة رائعة ، تجمع ما بين سحر الشرق وحضارة الغرب ،
ولا أخفى عليك أن هذا ليس السبب الوحيد لسفري ، ولكنني
سأشحن سيارتين حديثين ، ابتعتهما من (ألمانيا) ، على أحد
السفن التركية ، المتجهة إلى (جدة) .. فلقد اشتريتهما
خصيصاً لولدي الحيين (جاسم) و (زياد) ، بمناسبة
نجاحهما في الدراسة هذا العام .

هزّ (ممدوح) رأسه في ضجر ، على حين تابع (عبد الله)
قائلاً في فخر :

— آه لو رأيتهما !! إنهما شابان رائعان ، يشبهانني تمامًا ، ثم
إنهما متفوقان رياضياً أيضاً ، وخاصة (جاسم) .. لستك
تشاهده وهو يلعب بكرة القدم .. إنه يناور ويحاور خصومه
ببراعة منقطعة النظير .

انتهر (ممدوح) فرصة مرور المضيضة ، ليتشاغل عن
حديث الرجل ، وهو يقول لها :

— عصير برتقال من فضلك .

التفت إليها (عبد الله) ، قائلاً :

— وقهوة سادة لي .

ثم عاد يواصل حديثه مع (ممدوح) ، قائلاً :

— إننى فى الواقع لا أستسيغ تلك القهوة السريعة ، التى
يعدونها فى الطائرات ، فلا شئ يعادل القهوة السعودية .. قد
تبدو لك مرة المذاق ، ولكن نكهتها الرائعة تجعلك تدمنها و
قاطعته (ممدوح) فى ضجر ، محاولاً التخلص من حديثه :
— أعتقد أننى سأغفو قليلاً ، فأنا أشعر بالإرهاق و
قاطعته بجاره فى حماس :

— لا شئ يقضى على الإرهاق مثل الأحاديث المسلية ،
وأنا أملك قدرًا كبيرًا منها ، فأنا شهير بأننى متحدث لبق ،
أجذب السامعين دومًا .

وقهقه فى فخر ، على حين شعر (ممدوح) بخنق شديد ،
وبدا له أن قفص (إسطنبول) خير من هذا الرجل ، الذى
واصل ثرثرته ، ولم يستمع إلى (ممدوح) ، وهو يغغم فى
حنق :

— حسنًا .. إنه جزء من متاعب المهنة .

وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :
— وأى مهنة ؟! ..

٤ — السوق الشرقى ..

لم يكد (ممدوح) يغادر مطار (إسطنبول) ، حتى أسرع
يلقى نفسه داخل واحدة من سيارات الأجرة ، ويطلب من
سائقها فيما يشبه الرجاء ، توصيله إلى فندق (كريستال) ،
وقد نسى ما ينتظره من مخاطر وأهوال ، أمام خشيته من الالتقاء
بهذا الراكب الثثار مرة أخرى ، بعد أن صدع رأسه بحديثه
الطويل الممل طوال الرحلة ..

وعلى مسافة غير بعيدة كانت هناك سيارة أخرى تتبع
سيارته ، سأل قائدها الرجل الذى يجاوره فى قلق :

— هل أنت واثق من أنه أحد رجال إدارة العمليات الخاصة ؟
أجابه الآخر :

— نعم .. إنه (ممدوح عبد الوهاب) .. لقد تعرّفته فى
المطار ، على الرغم من تنكره ، وجواز سفره الزائف .. فهذا
الرجل بالذات هو موضع اهتمامى الخاص ، منذ ثلاث سنوات ،
بعد نجاحه فى إفساد العديد من عملياتنا .. ولقد دبّرت مخابراتنا

أكثر من حُطّة لاختطافه وقتله ، ولكنها فشلت كلها ، فهو نمرّ
شرس ، يصعب صيده .

غمغم الذى يقود السيّارة :

— إذن فقد أرسلوه لمساعدة عميلهم على الهرب .

أوماً الآخر برأسه ، قائلاً :

— بالتأكيد .. إنه الرجل الوحيد ، الذى يمكنه النجاح فى

مثل هذه المهمة .

قائد السيّارة :

— إذن فهى فرصة ذهبية للإيقاع بالصقر ، فهو يعرف

مكانه ولا ريب .

خرج الآخر عن هدوئه لأوّل مرّة ، وهو يهتف فى عصيّة :

— فليذهب الصقر إلى الجحيم .. إنه سيقع فى أيدينا إن

عاجلاً أو آجلاً .. إن الخطر الحقيقى يكمن فى (ممدوح

عبد الوهاب) هذا ؛ فهو رجل من طراز غير عادى ، أثبتت تجاربنا

دوماً أن تدخّله يعنى فشل عملياتنا ؛ والوسيلة الوحيدة لمنعه من

إفساد عملنا هذه المرّة هى قتله .. الليلة !

اعترض قائد السيّارة ، قائلاً :

— أخالفك الرأى يا صديقى .. إن حقدك على هذا الرجل
يفقدك المنطق السليم .. إنه طعم ممتاز لاصطياد الصقر .

هتف الرجل فى انفعال :

— أظن أننى الرجل الذى يتولّى هذه العملية .. أليس
كذلك ؟

ابتسم الآخر قائلاً :

— لا ضرورة للانفعال .. سأرسل أحد رجالنا المدربين ؛
لقتله مادمت تريد ذلك .

ابتلع الرجل قرصاً مهدئاً من زجاجة صغيرة يحملها ، وهو
يغمغم فى حنق :

— حاول أن تنجح ، مهما كان الثمن ، فلن أشعر بالراحة
أبدًا ، طالما هذا الرجل فى (إسطنبول) .

وعقد حاجبيه ، وهو يردف فى غضب :

— وعلى قيد الحياة .

كان (ممدوح) منهكاً فى إفراغ محتويات حقيبته ، فى حجرته
بالفندق ، حينما سمع طرقاً على باب الحجرة ، فوضع يده على
مقبض مسدّسه ، المعلق فى جراب أسفل إبطه ، وهو يسأل :

— من ؟

— خدمة الفندق يا سيدي .

فتح (ممدوح) الباب قليلاً ، دون أن يرفع يده عن مقبض
مسدسه ، أسفل سترته ، فوجد أمامه شاباً ممشوق القوام ،
يرتدى ثياب الفندق الخاصة ، ويحمل على ساعده عددًا من
المناشف النظيفة ، وهو يقول بابتسامة لطيفة :

— جئت لاستبدال مناشف الحمام يا سيدي .

ممدوح :

— لا داعي لذلك .. لدي منشفتي الخاصة .

أجابه الشاب في لهجة مهذبة :

— إنها تقاليد الفندق يا سيدي .

ممدوح :

— حسنًا .. ضع المناشف النظيفة في الحمام .

في نفس اللحظة اتصل به مكتب الاستقبال بالفندق ،
وأبلغه بوجود مكالمة خارجية له ، فأمسك سماعة الهاتف ،
ليسمع رجلاً يقول في هدوء :

— المقدم (ممدوح) .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

— من المتحدث ؟

أجابه صاحب الصوت :

— الأغا .

كان الاسم يعنى الكثير لـ (ممدوح) ، فألقى نظرة سريعة
على الحمام ، حيث كان الشاب يضع المناشف النظيفة في
مكانها ، وهمس في اهتمام :

— يمكنك أن تتحدث .. أين الصقر ؟

أجابه الرجل :

— حاول أن تلتقي بي في السوق الشرقى بعد ساعة واحدة ،
وسأرشدك إلى مكانه .

ممدوح :

— وكيف سأتعرفك ؟

أجابه المتحدث في هدوء :

— لا تجعل هذا يقلقك .. سأتعرفك أنا .

هم (ممدوح) بوضع سماعة الهاتف في موضعها ، منهيًا
الحديث ، لولا أن لاحظ منه التفاتة إلى الشاب ، الذي انتهى من
تغيير المناشف ، واقترب منه ، وهو يحمل إحدى المناشف على
ساعده ويده ..

ولولا خبرته ما لاحظ (ممدوح) أن طرف المنشفة مرتفع قليلاً ، وأن الجسم الواضح خلفه هو فوهة مسدس مزود بكاتم للصوت ، وأن الواقف أمامه ليس أحد خدام الفندق ، وإنما قاتل .. قاتل محترف ..

كان ذلك القاتل من الطراز الأول ، الذى لا يخطئ إصابة هدفه أبداً ، من هذه المسافة القصيرة ، وكانت أصابعه تستعد لتنفيذ عمله القدر فى دقة وإحكام ..

لولا ما يتميز به (ممدوح) من رد فعل سريع ..

وكالبرق الخاطف ، وبكل ما يملك من قوة ، هوى (ممدوح) بسماعة الهاتف على يد القاتل المحترف ، قبل أن يضغط زناد مسدسه ، فسقط المسدس من يد الرجل ، وهو يتأوه فى ألم ، فى حين استغل (ممدوح) عنصر المفاجأة ؛ ليسدّد لخصمه عدة لكمات سريعة قويّة متتالية ، جعلته يترنّح ، ويسقط أرضاً .

والتقط القاتل المحترف مقعداً ، وقذفه فى وجه (ممدوح) ، الذى استقبله على ساعده ، ودفعه بعيداً ، فى نفس اللحظة التى

استلّ فيها الرجل ، من طيّات ثيابه ، خنجراً ، وقفز ليطعن به (ممدوح) فى قلبه ..

وقفز (ممدوح) جانباً ، متفادياً طعنة الخنجر ، وأمسك معصم خصمه بحركة سريعة ، وجثا على ركبتيه ، ودفع الرجل من خلف ظهره ، وطرحه أرضاً ، ثم قفز فوقه ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى قوّة ، أجبرت الرجل على التخلّى عن خنجره ، فالتقطه (ممدوح) ، وهو يقول :

— من حسن حظك أننى فى عجلة من أمرى ، وإلاّ لقتلك درساً أكثر قسوة من هذا الدرس القصير .

والتقط المسدس ، وهو يتعدّ مردفاً فى صرامة :

— والآن .. غادر الحجرة فى هدوء ، وسأحتفظ أنا بمسدسك تذكّاراً .

وابتسم ، وهو يستطرد فى سخرية :

— ولاتنس تسليم المناشف القديمة لإدارة الفندق ..

كان ذلك الشارع ، الذى يطلقون عليه اسم (السوق الشرقى) ، ضيقاً مزدحماً ، يزخر بمختلف أنواع الأطعمة والملبوسات ، والسلع الاستهلاكية ، ولقد تنقل (ممدوح)

بين محالّه ، منشغلاً عن البضائع بالبحث عن الرجل ، الذى
سيلتقى به هناك ..

وفجأة .. احتكّ به شخص ما ، ومال نحوه يعتذر قائلاً :

— معذرة .. هل حضرت للصيد ؟

أجابه (ممدوح) فى سرعة :

— نعم .. لصيد الصقور .

تلّفت الرجل حوله فى حذر ، ثم «مس :

— اتبعنى .

سار (ممدوح) خلفه ، وسط الشارع المزدهم بالباعة
والمشتريين ، وشعر وكأن هذا الطريق الضيق لا نهاية له ، وهو
يشق طريقه فى صعوبة ، والزحام يغرقه عن السير خلف الرجل
مباشرة ، وهو يجاهد حتى لا يدعه يغيب عن بصره ..

واعترض طريقه أحد الباعة الجوالين ، محاولاً ترويح سلعته ،
وحاول (ممدوح) إقناعه بعدم رغبته فى الشراء ، إلا أن الرجل
أخذ يلحّ ، ويعرض بضاعته أمامه فى إصرار ، مبالغاً فى وصف
جودتها ، حتى دفعه (ممدوح) فى خشونة ، وابتعد فى خطوات
سريعة ، محاولاً اللحاق بالرجل ، ولكنه تسمّر فجأة ، فقد كان
الرجل قد اختفى وكأنما تبخر تماماً ..

أخيراً ، وبعد بحث طويل ، عثر (ممدوح) على الرجل ،
ورآه يتجه نحو شارع جانبي ضيق ، فى نهاية السوق ، فأسرع
إليه ، قائلاً :

— كدت أفقد أثرك .

حدّق الرجل فى وجهه ، وهتف فى استكار :

— من أنت ؟! .. إننى لا أعرفك ، ولم ألتق بك من قبل .

تراجع (ممدوح) فى دهشة ، أمام ذلك التحول المفاجئ ،
وتصوّر لحظة أن موقف الرجل يعود إلى مبالغته فى التخفى ، إلا

أن الحقيقة كشفت عن نفسها فى هيئة رجلين ضخمي الجثة ،
دفعاه فجأة بعيداً عن الرجل ، وقال له أحدهما فى صوت أجش :

— أَلَمْ تسمع ما قاله أخى ؟ .. إنه لا يعرفك ، ومن

الأفضل أن تجد طريقاً آخر بعيداً عنا .

انتبه (ممدوح) إلى أن أحد الرجلين يتأبط ذراع رفيقه ،

والآخر يمدّ يده ليصل سكين فى جانبه ، فاندفع محاولاً التدخّل ،

لحماية الرجل ، إلا أن عربة خشبيّة تجرّها الجياد ، وتحمل

أكداً من القشّ ، ظهرت فجأة من شارع جانبي ، وحالت

بينه وبين الآخرين ، وقفز أصحابها ، وفرّوا هاربين .. فما كان

منه إلا أن قفز فوقها ، وشدّ لجام جوادها ، لينحّيها جانباً ،

ولكن كان الأوان قد فات ، إذ قفز الرجلان ومعهما
صيدهما ، داخل سيارة سوداء ، انطلقت بهم مبتعدة ..

وشعر (ممدوح) بخطورة الموقف ، فقد فقد مرشده ،
الذى كان من المفروض أن يقوده إلى مخبأ الصقر ، وفضلاً عن
ذلك ، فوقع هذا المرشد في أيدي الأعداء ، يعنى أن الخطر
قد أصبح يُخَدِّق به (فريد) حقاً ..

وفجأة .. وبينما كان غارقاً فى أفكاره ، انقضَّ عليه رجل ،
من فوق سور قديم ، وأحاط عنقه بسلك رفيع ..
ورأى (ممدوح) الموت على قيد خطوة واحدة منه ..



إلا أن عربة خشبية تجرّها الجياد ، وتحمل أكداساً من القش ، ظهرت
فجأة من شارع جانبي ، وحالت بينه وبين الآخرين ..

٥ - طريق الأشباح ..

شدّد المهاجم من ضغط السلك الرفيع على رقبة (مدوح) ، الذى شعر بالاختناق والألم ، وخصمه يجذبه فى قوّة إلى كومة القش ، التى تحملها العربة ، حتى غاص فيها الاثنان ، فيما عدا وجهيهما ، وخصم (مدوح) يخفى وجهه بقناع من الصوف الثقيل ، لا تبدو منه سوى عينيه ، اللتين تحملان كل القسوة ، والإصرار والوحشية ، فى حين جحظت عينا (مدوح) من فرط الألم والاختناق ..

وفجأة .. قفز شخص آخر من فوق السور ؛ ليلهب ظهر الجياد بسوطه ، فانطلقت العربة بعيداً عن منطقة (السوق الشرقى) ، و (مدوح) يناضل للتخلص من خصمه ، والسلك المعدنى الرفيع يغوص فى عنقه ، ويكاد يسلب الروح من جسده ..

وكان الموت يقترب فى سرعة ، ولا يفصله عن (مدوح) سوى ثوان معدودة ..

وفى محاولة أخيرة ، وإصرار على رفض فكرة الموت على هذا

النحو ، التقط (مدوح) قدّاحته من جيبه ، وأشعلها بسرعة ، قبل أن يهطن غريمه إلى هدفه ، وألقاها خلف ظهر خصمه ، الذى فوجئ بالنيران تشتعل فى القش الجاف ، وتعلق بشيابه ، فتخلّى عن السلك المعدنى ، وعن عنق (مدوح) ، وتلاشت كل الأهداف من ذهنه ، سوى رغبته فى النجاة ، فألقى نفسه من العربة ، غير مبال بسرعة اندفاعها ..

ورأى قائد العربة رفيقه ، الذى تحوّل إلى كتلة من النيران ، ورأى (مدوح) يهّم بالقفز من العربة ، قبل أن تصل إليه النيران ، فراح ينهال على جسده بسوطه ، ويلهبه بضرباته فى غضب وثورة ، محاولاً منعه من الفرار ، ولكن (مدوح) تحمل ضربات السوط فى إصرار ، ووثب نحو خصمه ، وأحاط وسطه بذراعيه ، ليهوى الاثنان من العربة ، التى واصلت اندفاعها ، وقد أثارت النيران المشتعلة فى حولتها الجوادين ، وجذبت أنظار المارة ، بعيداً عن صراع (مدوح) مع خصمه ..

وحسم (مدوح) الصراع بلكمة ساحقة ، هوت على فكّ خصمه كالقنبلة ، ثم جذبه إليه ، وأراد أن يجبره على الاعتراف بالمكان الذى ذهب إليه المرشد ، ولكنه لمح سيّارات الشرطه تقترب فى سرعة ، ورأى جمهرة من المارة تعدّو نحوه ، وخشى أن

يفسد ذلك التدخّل مهمته ، خاصةً وهو يعلم بوجود بعض العلاقات المشبوهة ، بين بعض رجال الشرطة التركية ، والمخابرات (الأسترانية) ، مما دفعه إلى التخلّي عن خصمه ، وركض حتى سور قصير ، لمنزل من طابق واحد ، ووثب فوقه ، وانطلق يعدو فوق أسطح المنازل المتقاربة ، حتى صار بعيداً آمناً .. كانت آثار السلك المعدني ما زالت ظاهرة على عنقه ، وبات من الواضح أنها لن تُمحى قبل مرور زمن طويل ، ولم يكن قد تخلّص تماماً من الآلام ، التي خلفها ضغط السلك على عنقه ، إلا أن عقله انشغل عن كل ذلك بالمصير الذي سيؤول إليه الصقر ، لو سقط بين أيدي (الأسترانيين) .. إنه يعرف الكثير عن وسائلهم في استخلاص الاعترافات ، ومن المؤكّد أن المرشد التركي لن يصمد أمامهما طويلاً ، وأنه لن يلبث أن ينهار ، ويدلّى إليهم بمخبا (فريد) ، فتكون في هذا نهاية الصقر ، الذي لن يتردّدوا في ذبحه بلا رحمة ، متى وقع في أيديهم .

وفجأة .. ومض شيء ما في ذهن (ممدوح) .. لقد تذكر أن يده قد احتكّت بورقة صغيرة في جيبه ، وهو يلتقط قدّاحته ..

كان من العجيب حقاً أن تبرز تلك المعلومة البسيطة في ذهنه ، وسط ذلك الخضمّ من الأحداث والأفكار ، ولكن الحاسة المتفوّقة ، التي يتمتع بها ، أيقظت هذا الشعور في ذهنه ، فأسرع يلتقط تلك الورقة من جيبه ، وفردّها ؛ ليقرأ عليها عبارة تقول : « إذا ما أصابني أي مكروه ، فاذهب إلى العنوان المدوّن أسفل هذه العبارة ، وستجد ما تبحث عنه » . وأسفل العبارة كان العنوان مدوّنًا في وضوح مع توقيع (الأغا) ..

لقد اصطدم به المرشد بالفعل ، قبل أن يعرفه نفسه ، ولا ريب أنه كان يتوقّع بعض المتاعب مع رجال المخابرات (الأسترانية) ، فدوّن هذا العنوان ، ودسّه في جيب (ممدوح) ، زيادة في الاحتياط ..

وعاد الأمل ينتعش في قلب (ممدوح) ، وتساءل : هل سينجح في الوصول إلى هذا المكان ، قبل أن يقع (فريد) في براثن رجال المخابرات (الأسترانية) ؟ ..

هل سبقوه إليه ، بعد أن أجبروا المرشد على الاعتراف ؟ .. لقد بدأ السباق ، وعليه أن ينطلق بأقصى سرعة .. من أجل الصقر ..

أوقف سائق سيارة الأجرة سيارته ، عند مدخل طريق غير
مهّـد ، تمتد أمامه ساحة كبيرة من المستقعات الطينية ،
والأخشاب ، وقال لـ (ممدوح) :

— تستطيع أن تكمل الطريق وحدك لو أردت ، فالمنزل
الذي تقصده يقع على بعد ثمانين متراً من هنا ، فلست أرغب في
المضي في طريق الأشباح هذا .

نقده (ممدوح) أجره ، وهو يقول :

— شكراً لك ، يمكنك أن تعود ، وتتركني للأشباح .

عاد الرجل أدراجه ، وهو يغمغم في دهشة :

— لا ريب أنه مجنون ، حتى يبقى في مكان كهذا وحده !
أما (ممدوح) فقد سار في هذا الطريق المظلم الموحش ،
حتى بلغ منزلاً قديماً ، محاطاً بأسوار عالية ، وأشجار برية ،
وتوقف أمام بوابته الضخمة ، التي تركها بعضهم شبه مفتوحة ،
وكأنما تركها من أجله بالذات ، مما جعله يؤقن من أنه يسير نحو
كمين معد له بالداخل ، فتحسس مسدسه في جرابه ، وعدّل
رباط عنقه في عناية ، وكأنما هو في طريقه إلى سهرة فاخرة ، ودفع
البوابة الحديدية ، واجتازها في هدوء إلى حديقة المنزل ، وتقدّم
فوق أرضها الجرداء ، وبين أشجارها الذابلة في حذر المخترق ،

وإصرار الانتحاري ، واختفى خلف إحدى الأشجار ، يرقب
ذلك المنزل القديم ، الذي بدا بطرازه العتيق منسجماً مع المنطقة
الموحشة المحيطة به ..

وطاف (ممدوح) بالفناء المحيط بالمنزل في حذر ، وهو
يتحسس طريقه في الظلام ، حتى عثر على درج ، ارتقاه في خفة
وسرعة ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، حتى وصل إلى باب
صغير ، تركه بعضهم نصف مفتوح أيضاً ..

وفي هدوء .. دفع (ممدوح) ذلك الباب ، ولكن الصرير
الذي أحدثته مفصلات الباب القديمة ، حطّم ذلك الهدوء ،
ووجد (ممدوح) نفسه في ردهة صغيرة ، يتصدّرها سلّم
آخر ، ارتقاه (ممدوح) في سرعة وحذر ، فألقى نفسه في شرفة
كبيرة مستديرة الشكل ، تطلّ على قاعة كبيرة ، يضيئها مصباح
خافت ، تطلّع إليها في حذر ، فرآها خالية من الأثاث تماماً ،
وعلى أرضها تمدّد أربعة رجال خمدت حركتهم تماماً ، وأحاطت
بهم بركة من الدم تؤكد أنهم ضحايا مجرزة وحشية دامية ، وأن
رجال المخابرات (الأسترلانية) قد سبقوه إلى عش الصقر ،
واقترضوه قبل أن يبلغه هو ، ولا ريب أنهم ينشدون عنقه الآن ،
وأنهم هنا ، في مكان ما ..

وغمغم (ممدوح) في حَنَق :

— حسناً ، فليبدأ كشف الأوراق .

وأطلق من مسدّسه رصاصة محكمة ، أغرقت المكان في
ظلام دامس ، بعد أن حطّمت المصباح الخافت ..
وبدأت مواجهة الذئاب ..



٦ — مواجهة الذئاب ..

فيما عدا دوى رصاصة (ممدوح) ، وصوت تهشّم
المصباح ، فقد ظلّ السكون يُخَيِّم على المكان ، مختلطاً
بالظلام ، وبدأ وكأنّ الذئاب ترفض مغادرة أوكارها ، أو لم
تستعد لذلك بعد ..

وخامرت (ممدوح) رغبة قويّة في تحطيم هذا السكون
المُطَبَّق ، وإثارة الذئاب ، فتناول المقعد الوحيد في الشُرْفَة ،
وألقى به وسط القاعة .. ولم يكد دوى ارتطام المقعد بالأرض
يرتفع ، حتى أضاء مصباحان قويّان في موقع سقوطه ، وانتهالت
عليه الرصاصات ، وقد ظنّ الذئاب أن (ممدوح) قد قفز إلى
وسط القاعة ..

وفي سرعة أطلق (ممدوح) رصاصاته على المصباحين ،
وحولهما ، وتهشّم زجاجهما بدوى هائل ، امتزج بصيحة ألم ،
وصوت سقوط جسم على الأرض ، وسمع (ممدوح) صوت
أقدام تهزّول مبتعدة ، فصوّب فوهة مسدّسه نحو الصوت ،

معتمداً على سمعه المرهف ، وحاسته السادسة ، ولكن الضوء
سطع في الشرفة فجأة ، وسمع (ممدوح) صوتاً من خلفه يقول :
— ألقِ مسدسك أرضاً ، ودعني أرى ذراعيك فوق رأسك
أيها المقدم ..

كانت مفاجأة حقيقية ، إلا أن (ممدوح) ظل متأسكاً ،
وألقى مسدسه ، وهو يستدير لمواجهة خصمه في هدوء ، فرأى
في مواجهته رجلين ، أحدهما قصير ، تحمل وجنته ندبه قديمة ، له
عينان باردتان ، نصف مغلقتين كعيني التماسيح ، والآخر طويل
نحيل ، تلوح القسوة واضحة في مَحْيَاه ، على الرغم من اصفاره
وهزاله .. وأدرك (ممدوح) — من النظرة الأولى — أن القصير
هو صاحب الأمر ، فقد كانت عيناه تشفان عن التصميم وروح
القيادة ، في حين بدا الآخر من ذلك الطراز ، الذي يصلح
لتنفيذ الأوامر فحسب ، ولم يلبث استتاجه هذا أن أعلن
صحته ، حينما قال القصير للنحيل في لهجة أمره :
— فتشه جيداً .

أعاد النحيل مسدسه إلى جرابه ، وهم بالتوجه إلى
(ممدوح) ، إلا أن القصير استدرك في سرعة :
— كلاً .. أعطني مسدسك ، فلديّ تعليمات مشددة

بعدم الاقتراب من ذلك الرجل بأي سلاح ، فقد يقلب الموقف
ضدنا .

أطاع النحيل الأمر في استسلام ، واتجه إلى (ممدوح) ،
وأخذ يفتشه بعناية فائقة ، حتى نُحِلَّ لـ (ممدوح) أنه
سيبحث عن أية أسلحة مخفية تحت جلده ، إلى أن تحول إلى
القصير ، وقال :

— إنه لا يحمل أية أسلحة أخرى .

ثم تراجع إلى موقعه الأول ، على حين قال القصير ، وهو
يصوب سلاحه إلى (ممدوح) :

— والآن أيها المقدم .. إن لدى أوامر مشددة بإطلاق عدة
رصاصات على قلبك مباشرة .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول في ثبات يثير الدهشة
والإعجاب :

— من الواضح أنك من ذلك النوع الروتيني ، الذي ينفذ
التعليمات الصادرة إليه بحذافيرها .. ولكن بعد تأكدك من
أنني لا أحمل أية أسلحة ، هل تسمح لي بتسوية ثيابي ، فأنا
لا أطيق مفارقة الحياة في هيئة رثة .

انفرجت شفها القصير عن نصف ابتسامة ، أبرزت أسنانه
القدرة ، غير المنتظمة ، وزادت ملامحه بشاعة ، وهو يقول :

— إنك تُروى لى أيها المقدم ؛ لذا فسأخالف التعليمات ،
وأمنحك ثانيتين فقط تهندهم فيهما مظهرك ، لتستقبل الموت أنيقاً
كما ترغب ، ولكننى سأختصرهما إلى جزء من الثانية ، لو لمست
جيوبك ، على الرغم من خلّوهما من الأسلحة .

واتسعت ابتسامته فى سخرية ، وهو يستطرد :

— وإن كنت أرى عدم جدوى الأناقة ، مادام الدم
سيلوّث الثياب .

ظَلّ (ممدوح) محتفظاً بابتسامته ، وهو يقول :

— ستطمئن نفسى إلى أننى لم أهمل أناقتى طيلة عمري على
الأقل .

وفى هدوء ، أخذ يعدّل من رباط عنقه ، ويشدّ أكمامه ، كما
لو كان مقبلاً على موعد غرامى ، وليس على موت محتم ، وفى
هدوء رفع كفه إلى الدُبوس الذهبى الأنيق ، الذى يزيّن رباط
عنقه ، كما لو كان سيعدّل من وضعه ، ولكن سبّابه ضغطت زراً
دقيقاً فى الدُبوس ، فانطلق منه شيء أشبه بومضة برق ، قبل أن
يدرك القصير ما تعنيه ، شعر بلسان من النار يخترق قلبه ،
ويحترق داخله ، فجحظت عيناه فى ألم ورعب ، وأدرك لجزء من
الثانية طبيعية تلك الأشعة القاتلة ، قبل أن يهوى جثّة هامدة ..

واتسعت عينا النخيل فى ذهول ، واختفت القسوة من
ملامحه ، مع ذلك الرعب الذى ملأ كيانه ، ومع ندمه الشديد
على تخليه عن سلاحه للقصير ، فقد انقضّ عليه (ممدوح)
كالصاعقة ، ولكمه فى معدته ، وركله فى ساقه ، ثم حمله فى خفة
وسرعة ، وألقى به من الشرفة ، وسمع صرخته اليائسة ، قبل أن
يرتطم بالأرض .. ولكن إرادة ذلك النحيل كانت فولاذية بحق ،
فعلى الرغم من عنف السقوط ، إلّا أنه أخذ يزحف أرضاً فى
صعوبة ، محاولاً الوصول إلى البندقية الآلية ، التى تخلفت عن
مصرع الرجل ، الذى قتله (ممدوح) فى بداية الصراع ، وقبل
أن تحيط قبضته بها ، أرداه (ممدوح) قتيلاً برصاصة من
مسدّسه ، ثم اعتدل فى هدوء ، وأخذ يعدّل من رباط عنقه ،
والتفت إلى جثة القصير ، قائلاً :

— هذه هى نتيجة عدم الالتزام بالتعليمات أيها الحقير ،
كان ينبغى أن تطلق النار على ظهري مباشرة ، بدلاً من هذا
الاستعراض ، وكنت ستحصل على وسام الشجاعة .

خُيّل إليه أنه يسمع أنيناً من القاعة ، فتطلّع إلى أسفل ،
ليرى رجلاً يزحف فى ألم ، فقفر من الشُرْفة إلى القاعة ، وأسرع
إليه ..

كان الرجل يناهز الخمسين من العمر ، وكانت إصابته
بالغة ، ولكنه كان الوحيد الذى نجا من مذبحة
(الأسترتانيين) ، وانحنى نحوه (ممدوح) ، وهو يقول :
— لا تخف .. سأحاول إسعافك .

غمغم الرجل فى أنين مذعور :
— من أنت ؟

ممدوح :

— المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليات
الخاصة المصرية .

غمغم الرجل فى تشكك ، والدماء تنزف من جرحه فى غزارة :
— ما الذى يثبت ذلك ؟

قال (ممدوح) العبارة السريّة فى هدوء :

— لقد جئت لصيد الصقور .

تنهّد الرجل فى ارتياح ، وهمّ بالحديث ، إلّا أن عينيه اتسعتا
فجأة فى رعب ، وصاح وهو ينظر خلف (ممدوح) :
— احترس :

واستدار (ممدوح) فى سرعة ، ليرى آخر (الأسترتانيين) ،
وهو يصوب إليه بندقيته ، وأصابعه تضغط الزناد .



فقد انقضّ عليه (ممدوح) كالصاعقة ، ولكمه فى معدته ، وركله فى
ساقه ، ثم جملة فى خفة وسرعة ، وألقى به من الشرفة ..

جاء رد فعل (مدوح) سريعاً ، فائقاً ، فقد التقط خنجراً معلقاً بحزام المصاب ، الذى يرقد أمامه ، ودار على عقبيه بسرعة البرق ، وقذف الخنجر نحو الأسترثانى ، فغاص حتى مقبضه فى قلب الرجل الذى ترنح ، وترك بندقيته تسقط ، ثم هوى إلى جوارها جثة هامدة ، فتهدد (مدوح) ، وهو يغمغم :

— يا إلهى !! .. كدت أنسى هذا الرجل ، الذى فرّ عندما حطمت المصباحين .

ثم التفت إلى المصاب ، الذى يعاني سكرات الموت ، والذى تتم في ضعف :

— الآن يمكننى أن أثق بك .. لقد كنا نخفى الصقر هنا ، ولكن الأسترثانيين وصلوا قبلك ، وقتلوا الجميع ، واصطحبوا الصقر معهم ، ولقد سمعت أحدهم يقول : إنهم سيأخذونه إلى مزرعة التبغ الجبلية ، التى يملكها (جاويد) بك ، وهو من رجال العصابات الخطيرين .

مدوح :

— ألا يوجد هاتف هنا ، لاستدعاء طبيب ؛ لإسعافك ؟
غمغم الرجل بكلمات متهاكة :

— لا فائدة إنها أنفاسى الأخيرة .. المهم ألا تذهب أرواحنا سدى .. حذار أن تواجه (جاويد) وحدك ، فهو رجل شديد الخطورة ، كثير الأعوان .. اذهب أولاً إلى مقهى (الأناضول) ، فى شارع (أتاتورك) ، واطلب مقابلة (رستم) .. إنه معروف هناك .. قل له إنك قادم من طرف الشيخ (نشأت) ، وقدم له هذه القلادة .. ثق أنه سيساعدك فى مهمتك ، فهو من أخلص رجالى .

حاول الرجل أن تنتزع القلادة من عنقه ، إلا أن القدر لم يمهله إلا شهقة واحدة ، عادت بعدها روحه إلى بارئها ، فأغلق (مدوح) جفنيه ، والتقط القلادة ، وضم عليها قبضته ، وهو يقول فى حزم :

— سأفعل .



٧ - الذراع الفولاذية ..

كان طوله يناهز المترين ، له رأس ضخمة ، وشارب كث
غليظ منمق ومفتول إلى أعلى ، وبنيان ضخمة قوى متين ..
هكذا كان (رسم) ، الذي حَدَج (ممدوح) بنظرات
مستريبة ، قبل أن يسأله بصوته القوى الأجش :
— هل تسأل عني ؟

ممدوح :

— هل أنت (رسم) ؟

أجابه في غلظة :

— ماذا تريد من (رسم) ؟

ممدوح :

— جئتك من طرف الشيخ (نشأت) .

تفرس العملاق في وجهه قليلاً ، قبل أن يقول في خشونة :

— لست أعرف أحداً بهذا الاسم .

أبرز (ممدوح) القلادة ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ،

فانفجرت أسارير العملاق ، وجذب أحد مقاعد المُقَهَّى ،
وجلس فوقه في وضع عكسي . أمام مائدة (ممدوح) ، قائلاً :
— إنني في خدمة الشيخ (نشأت) ؛ وأصدقائه دوماً .
قال (ممدوح) في بطاء :

— لقد قُتِلَ الشيخ (نشأت) ليلة أمس .

انقلبت سحنة الرجل ، وجذب (ممدوح) من ياقته ، وهو
يقول في حدة واستنكار :
— أية أكذوبة هذه ؟

أجابه (ممدوح) في هدوء :

— إنها الحقيقة .. لقد قُتِلَ الشيخ (نشأت) ليلة أمس ،
على يد عملاء المخابرات الأسترمانية ، وبمعاونة رجل يُدعى
(جاوريد) بك .

تخلّى العملاق عن ياقة (ممدوح) ، وانهار فوق مقعده
باكياً ، وهو يقول :

— الشيخ (نشأت) قُتِلَ !! .. يا للهول !! .. هل هذا
معقول ؟!

ثم توقف فجأة ، ليسأل (ممدوح) في انفعال :

— ولكن ما علاقة (جاوريد) بك بالمخابرات الأسترمانية ؟

ممدوح :

— إنه يتعاون معهم ، كما كان الشيخ (نشأت) يتعاون معنا ، مع فارق أن (جاويد) من أكبر تجّار المخدرات ، والشيخ (نشأت) كان رجل خير وبر .

تهذّل كتفا (رستم) العريضتين ، وهو يقول في حزن :
— لقد كنت أحد الذين امتدّ إليهم خير الشيخ (نشأت) ..
لقد تعهّدتني برعايته ، بعد خروجي شريداً ضائعاً من السجن .

ممدوح :

— هل دخلت السجن ؟

رستم :

— نعم .. لقد كنت أعمل في خدمة (جاويد) بك ، ووقعت في قبضة الشرطة في أثناء إحدى عمليات التهريب ، ولقد تخلّى عني (جاويد) — حينذاك — واعتبرني مجرد ورقة محترقة ، أما الشيخ (نشأت) ، فقد تعهّد أسرتي برعايته ، في أثناء إقامتي بالسجن ، وحتى بعد خروجي منه ، وأنا أدين له بحياتي كلّها .

ممدوح :

— لقد أخبرني قبل موته (رحمه الله) أنه يمكنني الاعتماد عليك ؛ للوصول إلى (جاويد) بك ، في مزرعته الجبلية .

رستم :

— ولماذا تريد الذهاب إلى هناك ؟

ممدوح :

— لقد خطف الأسترتانيون أحد رجال المخابرات المصرية ، وأخفوه هناك ، تمهيداً لنقله إلى دولتهم ، ومهمّتي هي أن أحول بينهم وبين ذلك .

رستم :

— يمكنك الاعتماد عليّ تماماً .. متى تحبّ أن تذهب ؟

ممدوح :

— الليلة لو أمكن .. فكلما أسرعنا كانت فرصتنا أفضل ..
ارتسمت الصرامة في وجه (رستم) ، وأطلّت من عينيه ، وهو يقول في غضب :

— نعم .. الليلة .. الليلة أنتقم للشيخ (نشأت) .

ارتقى (ممدوح) و (رستم) التلال الخضراء ، في طريقهما إلى مزرعة (جاويد) بك ، وعندما صارا على مسافة قريبة منها ، قال (رستم) :

— المزرعة هناك ، في باطن الجبل ، خلف ذلك التل ،
وهناك رجالان مسلحان يربضان فوق التل دومًا ؛ لمراقبة الطريق
والتلال المحيطة بالمزرعة ، وحراستها .
وضع (ممدوح) نظاره المقرب فوق عينيه ، وقال وهو
يراقب تحركات الرجلين من خلاله :
— هذا يزيد من صعوبة الأمر بالتأكيد ، فسيلمحانا حتمًا
من موقعهما هذا ، إذا ما حاولنا الاقتراب .

أجابه (رستم) في هدوء :

— دَع هذا الأمر لي .

ثم نزع الحزام الجلدي لبندقيته الآلية من كتفه ، فاستوقفه
(ممدوح) قائلاً :

— آخر ما أرغب فيه هو أن يشق دوى الرصاصة سكون
المكان يا صديقي .

ابتسم (رستم) ، قائلاً :

— ومن قال إن هذا سيحدث ؟ ألم تسمع قط عن (رستم) ،
بطل رمى القرص القديم ؟ .. إنهم مازالوا يطلقون على اسم
(الذراع الفولاذية) ، حتى بعد تلك السنوات التي قضيتها في
السجن .

ثم فتح حقيبته الجلدية السوداء ، وأخرج منها كرتين
حديديتين ، قائلاً :

— إن طريقتي صامتة ، وفعالة .

ودون أن ينتظر جواب (ممدوح) ، أخذ يزحف بين
الحشائش الخضراء ، متخذًا من الشمس الغاربة ، وزية الأخضر
المنسجم مع الطبيعة ، ستارًا ، حتى أصبح على مسافة عشرين
مترًا من التل ، فانتصب فجأة ، ودار حول نفسه في سرعة
ومهارة ، وألقى واحدة من الكرتين ، شقت طريقها كالبرق ،
واصطدمت برأس أحد الرجلين ، وهو يستعد لإشعال سيجارته ،
فهوى جثة هامدة ، وقد احتبست صرخته في حلقه ، وأسرع
إليه زميله في دهشة ، ولكن الكرة الثانية ارتطمت بصدغه ،
فسقط إلى جوار رفيقه بلا حراك ..

وبرز (ممدوح) من مكمنه ، وأسرع نحو (رستم) ، وهو
يبتسم ، قائلاً :

— رائع يا صديقي .. لقد حطمت الرقم القياسي .

أجابه (رستم) ، وهو يتناول بندقيته الآلية :

— لقد شحذ سخطي على مصرع الشيخ (نشأت)
غضبي ، فجاء أدائي معبرًا عن ذلك .

ثم أشار إلى التل ، مستطردًا :
— والآن .. هيا نصعد ذلك التل ، قبل أن يسترد الرجلان
وعيهما .

ألقى (ممدوح) نظرة سريعة على الرجلين ، ثم ابتسم وهو
يقول :

— لا أظن أن ذلك سيحدث سريعًا .
ثم انطلق الاثنان يحدّوان نحو التل ، في طريقهما إلى مزرعة
الشیطان ..



وألقى واحدة من الكرتين ، شقت طريقها كالبرق واصطدمت برأس أحد
الرجلين ، وهو يستعد لإشعال سيجارته ، فهوى جثة هامدة ..

٨ — مزرعة الشيطان ..

كان الليل قد أرخى أستاره ، حينما هبط الاثنان من الجانب الآخر للتل ، حيث تمتد مساحة شاسعة من أشجار التبغ ، في باطن الجبل ، ولمح (ممدوح) مجموعة من الرجال ، يجلسون حول نيران مشتعلة ، وهم يتسامرون ، ويدخنون التبغ .. وتطلّع (رستم) من خلال منظاره المكبر إلى المنزل الأنيق ، الذى فى نهاية المزرعة ، وتحيط به أسوار عالية ، وأبواب إلكترونية ، وغمغم فى سخط :

— هذه هى أكبر المشاكل ، فهذه الأبواب تُفتح بوسائل معقدة ، والأسوار مزودة بكاميرات تليفزيونية ، تنقل إليهم صورة كل من يقترب منها .

ممدوح :

— لا عليك .. لقد توليت أنت أمر الحارسين ، فدع لى كل ما يتعلق بالإلكترونيات .

وتناول من جيب سترته الداخلى زجاجة متوسطة الحجم ،

لم يكد (رستم) يقرأ المدون على غلافها ، حتى غلت الدهشة وجهه ، فابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

— هل يدهشك أن أحمل فى جيبى زجاجة (شامبو) لغسيل الشعر ؟ .. منذ متى لم تغسل شعرك بمثلها ؟ .

هتف (رستم) فى دهشة :

— منذ مولدى !

ضحك (ممدوح) ، وقال وهو يرجّ الزجاجة فى قوة :

— لست أنصحك باستخدام هذا النوع على أية حال .

وقبل أن يفهم (رستم) ما يعنيه (ممدوح) ، رفع هذا الأخير غطاء الزجاجة ، فانطلقت منها فقاعات غازية عجيبة الشكل ، انطلقت نحو الأسوار ، وقال (ممدوح) فى نبرة جادة :

— هذه الفقاعات عبارة عن تركيبة كيميائية خاصة ، ذات

خواص مغناطيسية ، تنجذب نحو عدسات الكاميرات التليفزيونية ، وتنفجر فور ارتطامها بها ، فتحجب عنها الصور ، وتثبت الصورة الأخيرة ، التى التقطتها تلك الكاميرات لنصف ساعة كاملة ، أعتقد أنها تكفى لنجتاز الأسوار .

غمغم (رستم) مشدوها :

— ولكن ألن يلحظوا تلك الفقااعات ، قبل أن تصطدم
بالعدسات .

ممدوح :

— اطمئن .. إنها ذات طبيعة هلامية غير منظورة ، ولقد
رأيتها الآن فقط ؛ لأنها لم تكمل تكوينها بعد .

حكّ (رستم) رأسه ، وهو يغمغم في خيرة :

— وسائلكم عجيبة أيها المصريون !.. إننى أفضل الوسائل
الأقل تعقيداً .

ألقي (ممدوح) الزجاجاة الفارغة جانباً ، وقال :

— كما يحلو لك يا صديقى ، ولكن هياً نبدأ ، حتى لا نضيع
مزيداً من الوقت .

وانطلق الاثنان يزحفان وسط الأعشاب وأشجار التبغ ،
حتى بلغا البوابة الرئيسية ، فوجّه (ممدوح) ساعته نحوها ،
وأخذ يضغط أزرار الساعة على نحو منتظم ، مما دفع (رستم)
إلى أن يسأله في خيرة :

— ماذا تفعل ؟

ممدوح :

— أفسد عمل الشفرة الإلكترونية ، التى تتحكم فى حركة
البوابة .

لم يكذبتم عبارته ، حتى فُتِحَت البوابة فى هدوء ، فأشار إلى
(رستم) ، واندفع الاثنان عبرها إلى داخل المكان ، وقبل أن
يلغا المبنى الداخلى ، هتف صوت يحمل كل الدهشة :

— من أنتم ؟.. وكيف دخلتما إلى هنا ؟

وعلى بعد خطوات ، برز أمامهما رجلان مسلّحان ، وفوهتا
مدفعيهما يحملان الموت ..

لم ينتظر المسلّحان طويلاً حتى يأتى الجواب ، فلم يكذب أولهما
يتم عبارته — السالفة الذكر — حتى قفز (ممدوح) نحوه ،
وسدّد إلى وجهه ركلة قويّة عنيقة ، فى حين اندفع (رستم) نحو
الآخر ، وحطّم فكّه بكعب بندقيته الآلية ، وفى براعة
واحكام .. شلّ (ممدوح) حركة خصمه ، وجردّه من
سلاحه ، ثم أطاح به فى الهواء ، وحسم معركته معه بلكمة أخيرة
قويّة ، فى حين قبض (رستم) على عنق غريمه فى قوّة ، وراح
يضرب رأسه فى جذع شجرة قريبة ، حتى أفقده الوعي ، ثم
أخرج من حقيبتة حبلاً قويّاً ، قيّد به الرجلين فى سرعة ، ووضع
على فميهما شريطاً لاصقاً ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

— هكذا نضمن العمل فى هدوء .

وأسرعا نحو المبنى ، وأخرج (رستم) من حقيبتة حبلاً
متيناً ، ينتهى بخطاف قوى ، وهو يقول :

— سترى الآن أن الوسائل القديمة ما زالت صالحة .

وألقى الحبل إلى أعلى ، ليتعلق بحاجز إحدى النوافذ
المفتوحة ، ثم أشار بيده على نحو مسرحى ، مستطرداً :

— إنها طريقة غير مهذبة ، لدخول منازل الآخرين ، ولكنها
الوسيلة الوحيدة لنحتفظ برؤوسنا فوق أكتافنا .

أسرع (ممدوح) يرتقى الحبل ، وهو يغمغم :

— مازال أمامنا الكثير ، لنحتفظ بها في هذا الموضع

يا صديقى .

وأطل برأسه داخل الحجرة ، التى أوصله إليها الحبل ، ولم
يكد يطمئن إلى خلوها حتى قفز داخلها ، وتبعه (رستم) ،

وقد تشبث كل منهما ببندقية ، تحسباً للمفاجآت ، ودفع
(ممدوح) باب الحجرة فى هدوء ، فوجد أمامه ردهة طويلة ،

مضاءة ببعض الأنوار الخافتة ، فسار عبرها فى حذر ، وهو يرفع
مدفعه أمامه ، وأدار (رستم) وجهه ، وسار خلفه عكسياً ،

ومدفعه مصوب إلى الجهة الأخرى .

وفجأة .. برز شخص من حجرة جانبية ، وهو يحمل فى يده

زجاجة خمر وكأسين ، وكان من الواضح أن رؤيتهما قد أفرعته
وأدهشته للغاية ، فقد فغر فاه ، وجحظت عيناه ، وسقطت
الزجاجة ، وسقطت الكأسان من يده ، وتهشمتا أرضاً ..
وخشى (رستم) أن يثير هذا الانتباه لوجودهما ، فانقضَّ على
الرجل ، وهوى على رأسه بضربة قوية ، أفقدته الوعي ، ثم واصل
مع (ممدوح) سيرهما عبر الردهة الممتدة ..

وفى نفس اللحظة كان (جاويد) يجلس فى بهو المنزل
السفلى ، مع رجل المخابرات (الأسترمانية) ، المكلف اختطاف
الصقر ، وإلى جوارهما أحد رجاله ، يراقب شرفة الفناء المحيط
بالمنزل ، حاملاً مدفعه الرشاش .. ولم يكد صوت الزجاج
المهشم يبلغهم ، حتى هتف رجل المخابرات الأسترمانية :

— ما هذا ؟

أجابه (جاويد) فى هدوء :

— يبدو أن (دراز) قد أفرط فى الشراب ، فأسقط
الزجاجة كعادته .. ولكن اطمئن ، سأرسل رجلاً آخر ؛
لإحضار شرابك المفضل .

قال (الأسترمانى) فى ضيق :

— دَعْلِكَ من هذا الآن ، لقد أنهينا كل الإجراءات ،

وسيقوم رجالى بنقل العميل المصرى . من مزرعتك إلى الميناء اليوم .

نفث (جاويد) دُخان سيجارته ، وابتسم فى مكر ، وهو يقول :

— ولكننا لم نتفق معه على الصريقة التى ستعاونونى بها ؛
لتهريب (الأفيون) إلى الموانى الإنجليزية يا عزيزى الكولونيل .
تطلع (الأسترتانى) إلى ساعته فى قلق ، وهو يقول :
— سنتفق على كل هذا فيما بعد ، فلست مختصاً بمثل هذه الأمور و

قاطعه (جاويد) فى صرامة :

— معذرة أيها الكولونيل ، لن يغادر المصرى مزرعتى ، قبل أن نتفق على كل التفاصيل .. حتى التعويضات التى ستدفعونها ، إذا ما فشلتم فى إدخال الشحنة إلى (إنجلترا) .
احتقن وجه الكولونيل (الأسترتانى) غضباً ، وهو يقول فى جدّة :

— أى عبث هذا ؟ .. ألا تقدر خطورة عمليتنا ، وأهميتها بالنسبة لأمن (أسترتان) ؟

هتف (جاويد) فى صوت أكثر جدّة :

— فلتذهب عمليتكم وأهميتها إلى الجحيم .. المهم هو عمليتى أنا ، لقد ما ظلمونى طويلاً ، على الرغم من كل الخدمات ، التى قدّمتها لكم ، ولن يبارح المصرى مزرعتى قبل أن نحسم هذا الأمر .

هبّ الكولونيل واقفاً فى غضب ، ولكن فوهة مدفع حارس (جاويد) ، التى التفتت إليه ، جعلته يعاود الجلوس ، وهو يكظم غيظه ، مغمغماً :

— حسناً .. ماذا تريد ؟

ابتسم الحارس فى سخرية ، وأدار وجهه مرّة أخرى ناحية الشُرفة ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة ، حينما وقع بصره على (ممدوح) و (رستم) ، وهما يهبطان فى درجات السلم ، المؤدى إلى الشُرفة ، فى حذر ، ودون أن ينطق بحرف واحد ، وبكل التدريبات التى تلقاها ، أدار فوهة مدفعه الرشاش نحوهم ..

وأطلق النار ..

٩ - صراع الأشرار ..

انطلق وابل من الرصاصات نحو (ممدوح) و (رستم) ،
فقفزا من فوق سياج السُّلَم ، واحتميا بجداره ، لمواجهة هذا
الهجوم ، في حين انتفض (جاويد) والكولونيل (الأسترتاني)
في مقعديهما ، وقد أجمعتهما المفاجأة ، وحول الحارس فوهة
مدفعه نحو (رستم) في شراسة ، ولكن رصاصات (ممدوح)
أردته قتيلاً على الفور .. وأسرع (جاويد) يقبض على
مسدسه ، ولكن تلك النظرة الصارمة القاسية في عيني
(ممدوح) و (رستم) جعلته يتخلى عنه في بقاء ، وهو يتطلع
إلى (رستم) ، مغمغماً في ذهول :

— (رستم) ؟! كيف تجرؤ على اقتحام مزرعتي ، وقد
كنت يوماً كلباً من كلابي .

أجابه (رستم) في غضب :

— (رستم) لم يكن يوماً كلباً لأحد ، وحتى الكلاب تأتي
أن تنزعّمها أنت .. لقد كنت لك درعاً يتلقى عنك الضربات ،

والطعنات ، ولكنك سارعت بالتخلي عني ، حينما احتجت إلى
معاونتك ، بل قتلت الشيخ (نشأت) ، الرجل الوحيد الذي
أدين له بالفضل في هذا العالم .

جاويد :

— أنتم أحمقان .. صوت رصاصات حاربي سيحلب كل
رجالي ، وسيحقونكما سحقاً .

قال (ممدوح) في صوت هادئ واثق :

— إنهم لن يغامروا بحياتك ، التي تتعلق هي وحياة شريكك
على الإفراج عن المصري ، وتسليمه لنا .

امتزج الغضب والسخرية في وجه (جاويد) ، وهو
يقول :

— لكم ؟! ومن أنت أيها البطل الهمام ؟

أجابه الكولونيل (الأسترتاني) ، وهو يرمق (ممدوح)
بنظرة غاضبة ساخطة :

— (ممدوح عبد الوهاب) ، عميل المكتب رقم (١٩) ،
وواحد من أخطر رجال الأمن في العالم .

ارتسمت على شفتي (ممدوح) ابتسامة باهتة ، وهو
يقول :

— هل يكفيك هذا الجواب ؟ .. إننى أريد (فريد) خلال
ربع ساعة على الأكثر ، أو

قاطعه صوت (رستم) ، وهو يشير إلى الشرفة ، صائحا :
— احترس .. إنهم قادمون .

لم يكذب (جاويد) يسمع هذه العبارة ، ويرى رجاله يُهرعون
إليه ، حتى التقط مسدسه ، وصاح فى غضب :
— أنت ميت أيها المقدم .. ميت .

* * *

دار (ممدوح) على عقبه فى سرعة البرق ، وانطلقت من
مسدسه رصاصة ، حطمت يد (جاويد) ، فصرخ فى ألم
وزُعب ، فى حين هبط رجالان من الطابق العلوى ، وصوبوا
مسدسيهما نحو (ممدوح) و (رستم) ، الذى صاح :
— احترس أيها المقدم .

واختلطت صيحته بأزيز رصاصة ، مرقت فوق رأس
(ممدوح) تماما ، وأخرى عَبَرَت بين ساقيه ، فالتفت هو
و (رستم) إلى الرجلين فى سرعة ، وأمطراهما برصاصات
مدفعيهما ، فسقطا مضرَجَيْنِ بدمائيهما ، يتدحرجان على
السَّلم ، على حين اندفع ثلاثة رجال من حجرة جانبية ، وأطلق

أحدهم الرصاص على (رستم) ، فأصاب كتفه ، وصرع
(ممدوح) أحدهم برصاصاته ، فى حين اندفع الآخر يفتح
الباب أمام باقى الرجال .. فلم يجد (ممدوح) بدّا من التراجع ،
وهو يطلق رصاصاته دفاعا عن نفسه ، فى حين أمطر (رستم)
الرجال برصاص مدفعه ، وهو يصرخ فى غضب وشراسة ،
وصرع ثلاثة منهم ، قبل أن يمتلئ جسده برصاصاتهم ، ويلفظ
أنفاسه الأخيرة ..

ووسط كل هذا الجحيم ، أخرج الكولونيل (الأستوتانى)
من جيبه جهازا لاسلكيا صغيرا ، أوصله بأعوانه ، وهو يصدر
إليهم أوامره ، قائلا :

— ابدءوا فى تنفيذ العملية ، وسألحق بكم .

وتطلّع إلى (جاويد) ، ثم استطرد فى حزم :

— وإذا ما اعترضكم أحد رجال (جاويد) ، فاقتلوه بلا
تردد .. فلا بد من نقل العميل المصرى من هنا ، خلال عشر
دقائق على الأكثر .

تحول (جاويد) إليه ، وهو يهتف فى غضب :

— إننى أبغض هذا النوع من التلاعب ، وأكره من يحاول
استغلال الأمور لصالحه .. إنك لن تفلت بصقرك أبدا .

قال هذا وهو يستلّ خنجره ، ويشهره في وجه الكولونيل ،
الذى انتزع مسدّسه من غمده في سرعة ، وأطلق رصاصته ،
لستقر في رأس (جاويد) ، الذى جحظت عيناه في شدة ، ثم
هوى جثة هامدة ..

واستشاط رجال (جاويد) غضبًا ، حينما رأوا مصرع
زعيمهم ، فتحوّلت قوّهات أسلحتهم نحو الكولونيل ، ولكن
ثلاثة من أعوانه اقتحموا المكان في تلك اللحظة ، وفاجئوا رجال
(جاويد) من الخلف ، وصاحوا بهم في صرامة :
— ألقوا أسلحتكم وإلا أطلقنا عليكم النار .

ألقي رجال (جاويد) أسلحتهم في خوف واستسلام ،
وصاح الكولونيل :

— اقتلوا المصرى .. اقتلوه .

سأله أحد رجاله في دهشة :

— أى مصرى ؟

تلّفت الكولونيل حوله في ذهول ، فقد كان (ممدوح) قد
اختفى ، كما لو أنه لم يكن هناك شيء أبدًا ..

* * *

نقل (الأسترتانيون) (فريد عبد الكريم) مخدّرًا ، داخل

صندوق خشبي ، إلى سيّارة من نوع (الجيب) ، أمام المنزل ،
وتخلّصوا من رجال (جاويد) ، قبل أن تنطلق (الجيب) ،
تتبعها ثلاث سيارات أخرى نحو الجبل .. ولكن البقية من رجال
(جاويد) نصبوا لهم كمينًا ، فقد انهال عليهم وابل من
الرصاصات ، من بين أشجار التبغ ، وهم يخرقون المزرعة ، مما
أصاب سيّارتين ، وأرّدى أربعة من (الأسترتانيين) قتلى ، مع
تبادل إطلاق النار ، واحتفاء (الأسترتانيين) بسيّاراتهم ، حتى
قال أحدهم للكولونيل في توتر :

— إنهم سيقضون علينا حتمًا ، فهم أكثر دراية بخبايا
المكان .

أجابه الكولونيل في هدوء ، وهو يبذل خزانة مسدّسه
الفارغة بأخرى محشوة :

— هؤلاء الأوغاد لا يقلقوننى ، بقدر ما يقلقنى اختفاء

ذلك المقدم المصرى ، كم كنت أودّ التخلّص منه ، قبل مبارحة
المكان .

حدّق الرجل في وجهه ، وهو يهتف في دهشة :

— الخطر الحقيقى يكمن في رجال (جاويد) يا سيّدى ..
لقد قتلوا أربعة منّا حتى الآن .

أشار الكولونيل إلى اثنين من أتباعه ، خلف السيارة
الأخرى ، فهرعا إليه ، وهما يحتميان بالسيارات المتلاصقة ،
فقال لهما في صرامة :

— هل أحضرتما قاذفتي اللهب ؟

أجابه أحدهما في انفعال :

— نعم يا سيدي .. إنهما في السيارة السوداء .

أشار في برود إلى النقطة التي تنهمر منها الرصاصات ، وهو يقول :

— أحرقا هؤلاء الأوغاد .

عاد الرجلان إلى سيارتهما ، وسرعان ما كانت السنة
اللهب تتصاعد من أشجار التبغ ، ورجال (جاويد) يركضون
مذعورين هنا وهناك ، ورصاصات (الأسترتانيين) تحصدهم
حصداً .. وابتسم الكولونيل ابتسامة صفراء ، وهو يرى رجال
(جاويد) يتساقطون كالجردان أمام رجاله ، وقال في سخرية :

— ألم أقل لكم ؟ .. إن هؤلاء الأوغاد لا يستحقون القلق .

ثم أشار بكفه في صرامة ، مستطرداً :

— هيا إلى السيارات .. لقد تأخرنا عن موعدنا .. لقد حان
موعد إرسال (الصقر) إلى المذبح .

* * *

وسط المعركة الدامية ، التي دارت بين الجانبين ، والحريق
الهائل ، الذي شبَّ في المزرعة ، كان (ممدوح) يزحف كالفهد
وسط الأعشاب الجافة ، حتى بلغ سيارات (الأسترتانيين) ،
وانقضَّ على أحد رجالهم ، وهو يهيم بركوب السيارة الأخيرة ،
بعد انصراف (الجيب) والسيارات الأخرى ، وطرحه أرضاً ،
وانهال عليه باللكمات ، في نفس اللحظة التي رأى فيها زميل
الأسترتاني ما حدث ، فصوب قوهة مدفعه الرشاش نحو
(ممدوح) ، وانتظر فرصة سانحة ليطلق رصاصاته نحوه ،
وسط الصراع المحتدم بينه وبين زميله ، الذي كان يحول بينه وبين
(ممدوح) ..

وبلكمة ساحقة أخيرة ، أنهى (ممدوح) صراعه مع
خصمه ، وألقى به فوق زميله المسلح ، وقبل أن يستردَّ الثاني توازنه
ويطلق نيران مدفعه الرشاش على (ممدوح) ، كان هذا الأخير
قد اختطف قاذفة اللهب ، وأطلق السنة الجحيم نحو الرجل ،
الذي تحوَّل في لحظة إلى كتلة من اللهب ، وفاز المقدم المصري ..
وانطلق (ممدوح) بالسيارة ، في سباق مع الزمن ..
من أجل (الصقر) ..

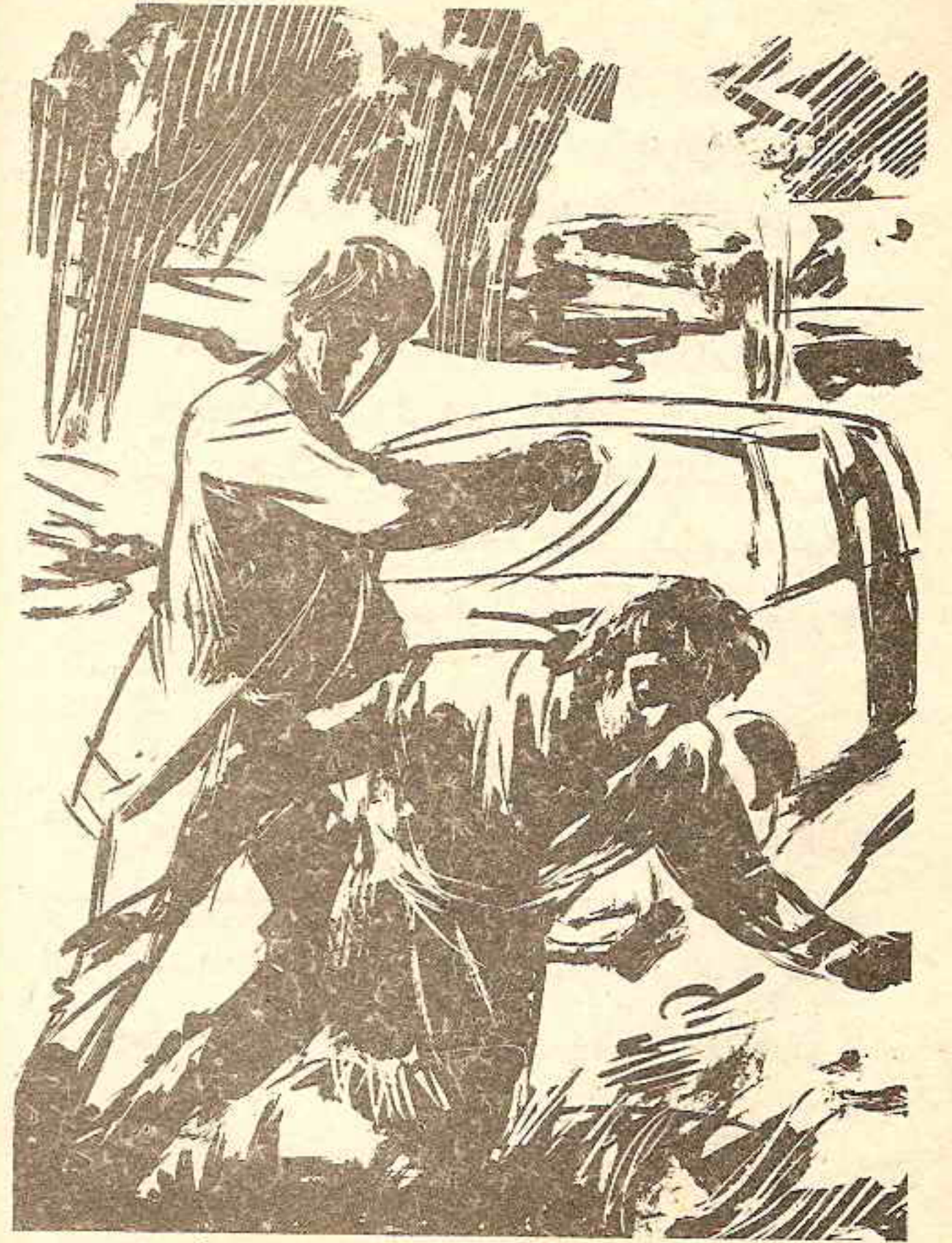
* * *

١٠ — الشُّحنة الآدمية ..

توقَّفت (الجيب) في مكان قريب من الميناء ، وقام رجال الكولونيل بنقل الصندوق ، الذي يحوى جسد (الصقر) ، إلى سيَّارة نقل كبيرة ، تحمل عددًا من الصناديق المشابهة .. ولم ينسَ الكولونيل إضافة علامة مميَّزة إلى الصندوق ، الذي يحمل (فريد) ، وعلى مسافة غير بعيدة ، وقف (مُمدوح) يراقب ما يحدث في اهتمام ، وهو يجلس داخل السيَّارة ، التي استولى عليها من رجلِ اخبارات (الأسترتانية) ، ورأى الكولونيل يشير إلى سيَّارته ، وهو يهتف محتدًا :

— لماذا توقَّفت هذان الغيَّان بعيدًا ؟ .. لماذا لم يلحقا بنا ؟ .. ليس لدينا وقت نضيعه .
أجابه معاونه :

— ربَّما أصيبت السيَّارة بعطب ما .
همهم الكولونيل بعبارة ساخطة ، وصعد إلى كابينه سيَّارة النقل ، وهو يقول في حنق :



وانقضَّ على أحد رجالهم ، وهو يهيم بركوب السيَّارة الأخيرة ، بعد انصراف (الجيب) والسيَّارات الأخرى وطرحه أرضًا ..

— الأمر لا يحتمل أية تأخيرات أخرى ، فليدحقا بنا فيما
بعد .

وأصدر أمره إلى سائق النقل بالتحرك ، في حين قفز
مساعدده وسط الصناديق الخشبية في المقطورة ، وانطلقت بهم
السيارة ، وتبعها (ممدوح) في حذر ، حتى رآها تعبر بوابة
الميناء ، فأوقف سيارته ، وهبط منها ، واتجه إلى الميناء بدوره ،
واستطاع من موقعه ، على رصيف الميناء ، أن يرقب (ونشما)
ضخمًا ، وهو ينقل الصناديق من سيارة النقل إلى قاعدة خشبية
خاصة ، يتم حملها فيما بعد إلى سفينة شحن (استرانية) ،
ترسو أمام رصيف الميناء ، يعمل فوقها عدد من العمال في همّة
ونشاط ، لرص الصناديق التي يحملها (الونش) ، داخل
السفينة ، وغمغم (ممدوح) ، وهو يراقب ما يحدث :

— لا ريب أن ترتيبات ضخمة قد اتخذت ؛ لتنتهي العملية
على هذا النحو ، وستغاضى البعض ولا شك عن الإجراءات
الجمركية ، والتفتيش ؛ لترحل السفينة في أسرع وقت ممكن إلى
(استرتان) ، وعلى متنها (الصقر) الذي ينتظرون قدومه
هناك بفارغ الصبر .

وانتظر في مكمنه حتى انتهت عملية الشحن تمامًا ، وتوجه
الكولونيل مع مساعده إلى مكتب الأمن بالميناء ؛ لإنهاء
إجراءات السفر ، وغطس في الماء في هدوء ، إلى جوار إحدى
السفن الهولندية ، وسبح محاذراً أن يصدر صوتاً ملفتاً ، أو
يتأثر من ضربات ذراعيه الماء ، حتى لا يلفت انتباه أحد إليه ،
فقد كان واثقاً من وجود حراسة مشددة على متن السفينة ، لما
تحمله من صيد ثمين .. وكان عليه أن يستعد لمواجهة ذلك ، وكل
ما يحمله هو مسدسه المزود بكاتم للصوت ، والذي يحمله داخل
كيس خاص ، يحميه من الماء ، وواحدة من كرات (رستم)
الفولاذية ، وقفازان من مادة لاصقة خاصة ، يتيحان له التعلق
بمحاجر السفينة ، والصعود إليها ..

ولقد استخدم هذين الأخيرين في نجاح ، وجهد ، حتى
وصل إلى سطح السفينة بالفعل ، ومن حسن حظّه أنه قد فعل
دون أن يلمحه أحد ، ولكنه لم يكد يستقر فوقه ، حتى لمح
شخصاً يؤليه ظهره ، وقد استغرق في إشعال سيجارته ، فخلع
أحد قفازيه ، استعداداً للانقضاض على الرجل ، إلا أن صوتاً
قويًا صاح من خلفه في صرامة :

— قف مكانك ، وإلا أطلقت النار ..

كان الموقف يحتاج إلى تصرف حاسم ، وسريع ؛ لذا فقد دار
(ممدوح) حول نفسه في سرعة وخفة ، والتقط كرة (رستم)
الفولاذية في سرعة ، وألقى بها في وجه الرجل ، الذي يهدده
بمدفعه الرشاش ، فأصابته في جبهته ، وأطاحت به فوق السفينة
كالإعصار ، وانتبه زميله إلى الضجة التي حدثت ، فألقى
سيجارته ، واستدار نحو (ممدوح) ، وهو ينتزع مسدسه من
غمده .. ولكن (ممدوح) اختطف أحد أطواق النجاة ،
المعلقة على سور السفينة ، وقذفه نحو الرجل ، الذي ارتبك
لحظة ، كانت كافية لأن يلتقط (ممدوح) مسدسه المزود بكاتم
للصوت ، ويطلق رصاصته على رأس الرجل تمامًا ..

وفي سرعة وخفة وصمت ، التقط (ممدوح) مسدس
الرجل ، وألقى بالرجل نفسه في البحر ، ثم تسلل بين الصناديق
المتراصة ، بحثًا عن ذلك الذي يحمل علامة مميزة ، والذي يحوى
(فريد) ، أو (الصقر) .

وأخيرًا .. عثر (ممدوح) على مبتغاه ، وأسرع يفتح
الصندوق ، فرأى داخله (فريد) في إعياء كامل ، ولم يكده هذا
الأخير يراه ، حتى غمغم في صوت يقاوم أثر المخدر :

— أين أنا ؟ .. ومن أنت ؟

ممدوح :

— أنا صديق ، ولقد جئت ؛ لأنقذك من (الأسترتانيين) .
غمغم (فريد) ، وهو يرخي جفنيه في إعياء :

— صديق ؟ .. الأسترتانيون ؟ !

هزه (ممدوح) في قوة ، محاولًا إيقاظه ، وهو يقول :

— حاول أن تسترد وعيك يا صديقي .. إننا محاطان بالخطر .

فتح (فريد) عينيه في صعوبة ، فناوله (ممدوح) المسدس ،

الذي استولى عليه ، وهو يقول :

— هيا .. استيقظ ، وغادر هذا الصندوق اللعين ، وحاول

أن تفيد من هذا المسدس ، إذا ما تأزمت الأمور .

ولكن (فريد) عاد يرخي جفنيه في إعياء ، وتراخت يده

الممسكة بالمسدس ، فغمغم (ممدوح) في حنق :

— يبدو أنه ما من فائدة .. إن المخدر يسيطر على عقله تمامًا .

ثم انحنى محاولًا حمله خارج الصندوق ، إلا أنه تسممر فجأة ،

حينما سمع صوت الكولونيل (الأسترتاني) ، وهو يأتي من خلفه

قائلًا في صرامة :

— لا تحاول .

التفت (ممدوح) إلى مصدر الصوت في حركة سريعة ،
ورفع مسدسه ، ولكنه عاد يخفضه في هدوء ، فقد كان يواجه
الكولونيل ، وخمسة من رجاله بمدافعهم الرشاشة ، المصوبة إلى
صدره ..

كان يواجه الموت نفسه ..



١١ — الصراع الأخير ..

كانت كل خلجة ، من خلجات الكولونيل (الأسترتاني) ،
تشى بانتصاره وصرامته وقسوته ، وهو يقول :

— كنت واثقاً من أنك ستأتى لا محالة ، فلم يكن يقلقنى
في هذه العملية كلها سوى أنك قد دسست أنفك فيها ، ولكن
يبدو أن هذا كان لسوء حظك ، فموتك هذه المرة محتوم .

وقف (ممدوح) عاجزاً ، في حين قال الكولونيل لرجالنه
لهجة أمرة صارمة :

— أوثقوه بالحبال ، وضعوه في أحد الصناديق الفارغة .
سأله أحد رجاله :

— هل سنحمله معنا إلى (أسترتان) ، كشحنة إضافية ؟
ابتسم الكولونيل في سخرية ، وهو يقول في شماتة :
— بل سنقتله داخل ذلك الصندوق ، ونلقى به طعاماً
للأسماك المفترسة .

وجلجلت ضحكته الساخرة في الميناء كله ..

في نفس هذه اللحظة ، وبينما كان الكولونيل يطلق ضحكته
المجلجلة ، برز عدد من الضفادع البشرية فوق سطح الماء ، إلى
جوار السفينة ، وثبت أحدهم على جدارها سُلماً ، ينتهي
بخطافين محاطين بإطارات مطاطية ، وصعد رجال الضفادع
البشرية إلى سطح السفينة في حذر وهدوء ، وكل منهم يحمل
بندقية صيد مائية ، مزودة بسهم حاد مدبب ..

وفي اللحظة التي هم فيها رجال الكولونيل بتقييد
(ممدوح) ، انطلق سهمان ، ليخترقا عنق رجلين ، فالتفت
الكولونيل ورجاله إلى مصدر الضربة في دُعر ، وانهاه عليه سيل
من سهام الصيد .. أمّا (ممدوح) فقد دفعته المفاجأة إلى
التحرك في سرعة ، فعاجل أقرب (الأسترانيين) إليه بلكمة
ساحقة على فكّه ، وأخرى في معدته ، واختطف مسدّسه ،
لينضم إلى الضفادع البشرية في القتال ، دون أن يدري من هم ،
ولماذا جاءوا ، استناداً إلى القاعدة التي تقول : « أعداء أعدائي
هم أصدقاؤى » .. ودارت معركة حامية الوطيس على متن
السفينة . تبادل فيها الطرفان إطلاق النيران ، وانهاالت فيها
السهام على رجال الكولونيل ..

ووسط هذا الجحيم المستعر ، اندفع أحد الضفادع البشرية
نحو (ممدوح) ، وهو يهتف في حرارة :

— مرحباً يا أخى (ممدوح) .. أخوك (عبد الله) ورفاقه
في خدمتك دائماً .

ارتسمت الدهشة في وجه (ممدوح) ، وهو يتطلّع إلى
وجه (عبد الله) .. الراكب السُعوى ، الذى رافقه في رحلته
إلى (إسطنبول) ، وشعر لأول مرة بالسعادة لرؤيته ، ولكن
(عبد الله) رفع بندقية الصيد في وجهه ، وهتف في صرامة :

— مُت أيها الوغد ؟ ..

وأطلق السهم القاتل ..

* * *

تحرك (ممدوح) في سرعة ، محاولاً تفضي السهم ،
وأدهشه أن السهم قد مرق بعيداً عنه ، وتجاوزّه ، ليستقر في
صدر أحد (الأسترانيين) ، الذى كان يهيم باغتياله من
الخلف ، ورأى (عبد الله) يتسم مرة أخرى ، وهو يقول في
هدوء :

— لا تجعل فرحتك بلقى تفقدك واجب الحذر
يا صديقى .

انتهز أحد رجال المخابرات (الأسترانية) فرصة المهرج
والقتال ، واندفع نحو الصندوق ، الذى يحوى (الصقر) ،
وصوب مسدّسه إليه ، صائحاً :

— ألقوا أسلحتكم ، وإلا أردت العميل المصرى قتيلاً على الفور .

أشار (ممدوح) إلى (عبد الله) ورجاله بالتوقف عن مواصلة القتال ، وخامرهم جميعاً شعورٌ باليأس والعجز ، إزاء هذا الموقف ..

وفجأة .. انطلقت من داخل الصندوق رصاصة ، غاصت في رأس (الأسترتانى) ، الذى ترنح لحظة في ذهول ، ثم سقط جثة هامدة ، وقفز (فريد) من داخل الصندوق ، ممسكاً بالمسدس الذى تركه له (ممدوح) ، وقد زال عنه أثر الخدّر ، وهو يهتف في حماس :

— لقد خفقت أجنحة (الصقر) مرة أخرى .

وعادت المعركة تحتدم ، وحمى وطيسها ، وشعر الكولونيل باليأس والسخط ، وقد بدت له هزيمته حتمية ، فاندفع نحو حاجز السفينة ، يهيم بالقفز منها ، وهو يحمل أحد أطواق النجاة ، ولكن (ممدوح) أسرع نحوه هاتفاً :

— إلى أين ؟ .. الحفل لم ينته بعد .

تحوّل إليه الكولونيل في سرعة ، والحنق يختلط بالغضب في ملامحه ، وأطلق نحوه رصاصة ، تفادها (ممدوح) في مهارة ، ثم انقضّ عليه ، وهو يقول :

— إنك تفسد كل شيء كالمعتاد .

وقبض على معصمه ، ورفع فوهة مسدسه إلى أعلى ، ثم لف ذراعه في حركة ماهرة ، فوجد الكولونيل نفسه يدور في الهواء ، ويسقط أرضاً ، إلا أنه نهض في سرعة ، واندفع برأسه في معدة (ممدوح) ، ثم اختطف سلسلة حديدية من أحد قوارب الإنقاذ ، وهوى بها على رأس (ممدوح) ، الذى تفادها في مهارة ، وتلقاها على كتفه ، وشعر بآلامها المبرحة ، التى خيل له معها أن عظام كتفه قد انخلعت ، ولكنه قفز مبتعداً في مهارة ، وركل الكولونيل في معدته ، قبل أن يعاود الكرة ، ثم أعقب ذلك بعدة لكمات قويّة سريعة ، متعاقبة ، جعلت الرجل يرتطم بالصندوق المفتوح ، الذى كان يحوى جسد (الصقر) .. وبلكمة أخيرة أسقط (ممدوح) الكولونيل داخل الصندوق فاقد الوعي ، وزفر وهو يقول :

— لا أظن أن مفعول لكماتى سيختلف كثيراً عن مفعول

الخدّر ، الذى حقنتم به (فريد) ، وأظنك ستنعم بنوم عميق ، حتى تصل إلى (أسترتان) .

وحمل غطاء الصندوق ، ليثبت فوقه ، إلا أن (فريد) التقط الغطاء ، وهو يقول ساخراً :

— اترك لي هذه المهمة يا صديقي ، سيرُوق لي أن أتحوّل من
مصدّر إلى مصدّر .

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— يسعدني أن أتنازل لك عن هذا الشرف يا صديقي .
وفجأة .. غمرت أضواء كشّافات خفر السواحل سطح
السفينة ، وانطلقت صفارات الإنذار ، فأسرع الجميع
ينبطحون أرضاً ، محتمين بحاجز السفينة ، وقال (عبد الله)
لـ (ممدوح) :

— علينا أن نزحف إلى الجهة الأخرى ، وننتظر حتى تبتعد
الأضواء ، ثم نقفز إلى الماء .. فليست أطمئن إلى خفر
السواحل هنا .

سأله (ممدوح) :

— وأين نذهب بعد ذلك ؟

عبد الله :

— إلى سفينة شحن سعودية ، ترسو بالقرب من هنا .

ممدوح :

— ولكنهم سيبادرون بتفتيش كل السفن ولا شك ، قبل
مغادرتها الميناء .



ثم اختطف سلسلة حديدية من أحد قوارب الإنقاذ ، وهوى بها على رأس
(ممدوح) ، الذي تفادها في مهارة ..

عبد الله :

— اطمئن .. لقد حسبنا كل الاحتمالات .

التفت (فريد) إلى (عبد الله) يسأله :

— لا تنس أننا لا نملك أجهزة غوص مثلكم ، ولو ارتفعنا إلى السطح لاستشاق الهواء ، فسيشعر بنا خضر السواحل .

عبد الله :

— سنبادل أسطوانات الأكسجين تحت الماء .

كان الضوء يبتعد عنهم في تلك اللحظة ، فهتف (عبد الله) :
— الآن .

وبسرعة قفز الجميع في الماء ، وغاصوا في أعماقه ..
وبدأت رحلة العودة ..

كانت السَّلام المطاطية تتدلى من سفينة الشحن السعودية ،
حينما وصل إليها الجميع ، فأسرعوا بتسلُّقها ، وخلعوا ملابس
الغوص ، وألقوها في البحر ، ثم اصطحب (عبد الله)
(ممدوح) و (فريد) إلى جوف السفينة ، وأشار إلى السيارتين
الألمانيتين الفاخرتين ، وهو يتسم قائلًا :

— هل يعجبك هذا الطراز من السيارات يا صديقي
(ممدوح) ؟

تعجب (ممدوح) من هذا السؤال ، الذي لا يناسب الموقف ،
إلا أن (عبد الله) أطلق ضحكة مرحة ، وهو يستطرد :

— هل صدقت أنني قد ابتعتها حقًا من أجل ولدي ؟ ..
إنني لم أتزوج بعد في الواقع ، ولكنني أحضرت السيارتين
لحساب المخابرات السعودية ، فأنا أحد رجالها .

ارتسمت الدهشة على وجهي (ممدوح) و (فريد) ، على
حين استطرد (عبد الله) في هدوء :

— سيحتاج الأمر إلى شرح طويل ، لا مجال له الآن ،
فسرعان ما يصل رجال مباحث الميناء ؛ لتفتيش السفينة ،
ويكفي أن تعلموا أن مقعدي السيارتين الخلفيين مزودان
بتجويف سرّي خاص ، لا يمكن كشفه أو فتحه إلا بشفرة سرّية
بالغة التعقيد .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

— وهذا المكان معدّ لكما ، حتى نصل إلى المياه الدولية ،
بإذن الله .

كان الخبأ ضيقًا ، ولكن (ممدوح) و (فريد) احتملاه طوال
يوم كامل ، حتى أخرجهما (عبد الله) ، حينما وصلت السفينة إلى

المياه الدولية .. واصطحبهما (عبد الله) إلى مائدة عامرة ،
حافلة بالأطعمة الشهية ، فتناولوا طعامهما في شراهة ، وأجريا
بعض التمرينات الرياضية الخفيفة ، للتخلص من تصلب
عضلاتهما ، بعد طول الرقاد في انحاء السرى ، وبعدها جلسا
مع (عبد الله) على سطح السفينة ، يتطلعان إلى صفحة الماء ،
في طريقهما إلى (جدة) ، وقال لهما (عبد الله) :

— أنما تعلمان بالطبع أنه هناك تعاون وثيق ، بين أجهزة
الأمن والخبرات في معظم دول الشرق الأوسط ، بما فيها
(مصر) و (السعودية) .. وحينما علمت إدارة العمليات
الخاصة المصرية بأمر سفرى إلى (تركيا) ، لشحن السيَّارتين ،
اتصلت بنا ، وطلبت منا تقديم كل معاونة ممكنة للمقدم
(ممدوح) ، في مهمته الخاصة هناك ، ويسعدنى أن نجحت مع
رفاقى فى تأمين هذه المعاونة فى الوقت المناسب .

ممدوح :

— ولكن لماذا أخفيت عني أمرك ، حينما التقينا فى الطائرة ؟
عبد الله :

— هكذا كانت تقتضى الأوامر .. فلقد خشينا أن يلحظ
(الأستراليون) وجود أية صلة بيننا ، فيضعونى تحت

مراقبتهم ، فأفقد قدرتى على معاونتك .. وأعتقد أننى أدين لك
بالاعتذار عن تلك الأحاديث التافهة ، التى صدَّعت بها رأسك
طوال الرحلة ، فقد كان هذا جزءًا من الخطَّة لإجادة
التخفى .. وعمومًا لقد أعددنا كل شيء لتستقلَّ أول طائرة إلى
القاهرة ، فور وصولكما إلى (جدة) .

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— إنك تستحقُّ منا كل تقدير وإعجاب يا (عبد الله) .
عبد الله :

— إن دورى المحدود هذا لا يساوى شيئًا ، أمام بطولاتك
يا صديقى .. ومن دواعى فخرى أننى أسهمت بهذا الدور
المتواضع ، فى هذه المغامرة .

أغرق (فريد) فجأة فى الضحك ، فسأله (ممدوح) فى
دهشة :

— ماذا يضحكك ؟

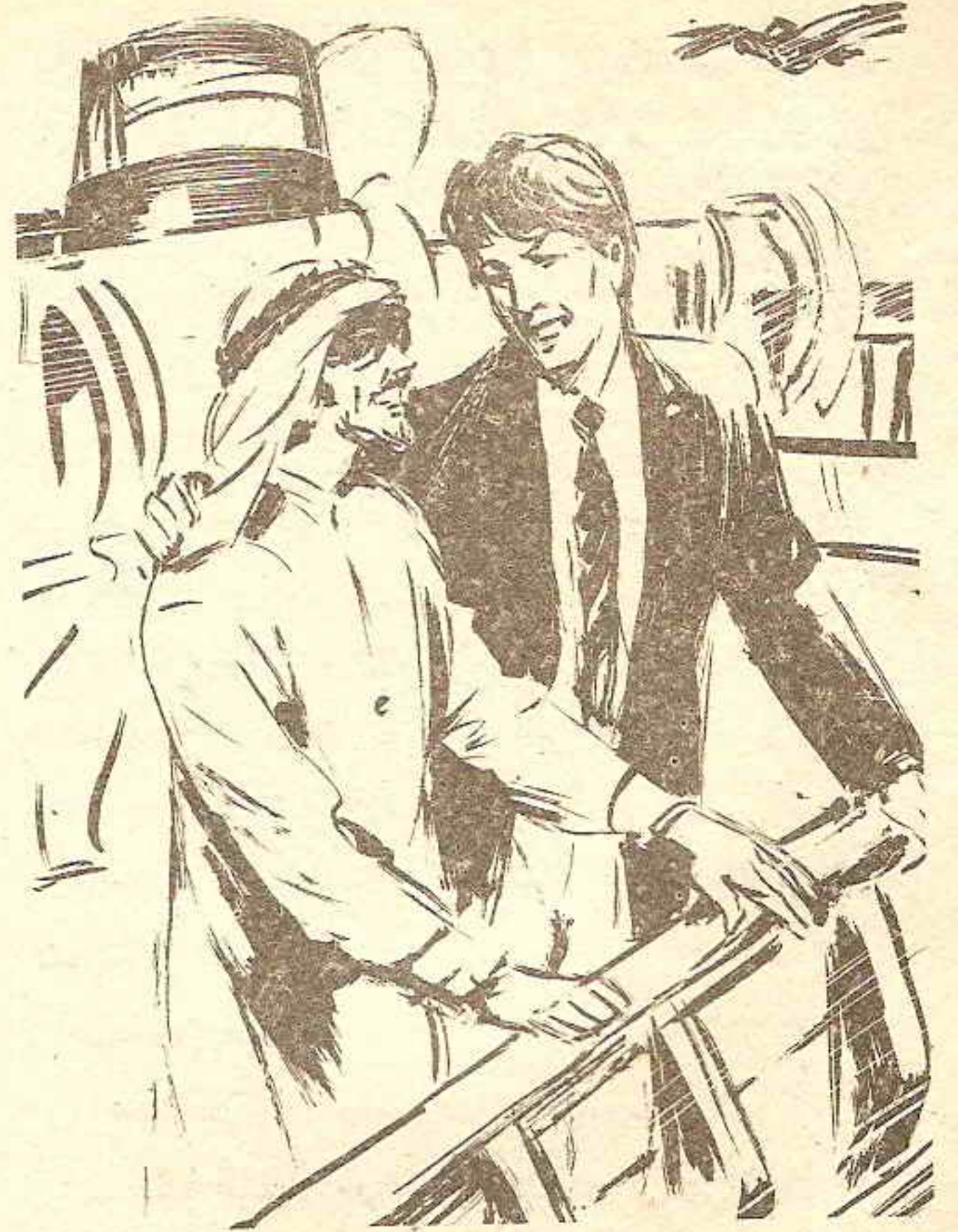
أجابه (فريد) ، وهو يواصل ضحكه :

— لقد تخيلت فجأة وجوه المسؤولين فى الخبرات
(الأسترالية) ، حينما تعود السفينة إلى (أستراليا) ،

ويفتحون الصندوق ، الذي من المفروض أن أكون داخله ،
ليجدوا بدلاً مني رجلهم المكلف اختطافي .. تخيلاً !
تطلع (ممدوح) و (عبد الله) إلى بعضهما البعض لحظة ،
ثم انفجرا معا بالضحك ..
وحلق (صقر) حراً طليقاً فوق السفينة ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠



ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— إنك تستحق منا كل تقدير وإعجاب يا (عبد الله) ..

المؤلف



أ. شريف شوقي

العميل الهارب

جاء رد فعل (مدوح) سريعاً ،
متفوقاً ، فقد التقط الخنجر المعلق في حزام
المصاب ، الذي يرقد أمامه ، ودار على
عقبه بسرعة البرق ، وقذف الخنجر نحو
(الأسترتاني) ، فغاص حتى مقبضه في
قلبه ..

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي

ذراع الأخطبوط

العدد القادم



الثنى فى
مصر
ح
يعادل
لارا

فى
الد
العرب
والعلم